فارس الأندلس
غالب الناصرى
ودوره فى حوادث المغرب والأندلس

بحث مقدم من

د . حمدى عبد المنعم محمد حسين

مدرس التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية

كلية الآداب ــ جامعة الإسكندرية

لعب الموالى المروانية دورا هاما فى اقامة الدولة الأموية فى الأندلس ، فلولا مؤازرتهم والتفافهم حول عبد الرحمن بن معاوية الداخل لما تم أمره وتحقق حلمه فى إحياء دولة بنى أمية فى الأندلس ولولا اخلاصهم له ولبنيه لما أمكن للدولة الأموية أن تؤثر وتترك بصماتها واضحة جلية فى تاريخ الأندلس إذ اعتمد عليهم بنو أمية وقلدوهم أهم مناصب الدولة ، فكان منهم الحجاب والوزراء والكتاب والقواد والقضاة وارتفعت مكانتهم بوجه خاص فى عصر الخليفة عبد الرحمن الناصر (٣٠٠ — ٣٥٠ هـ/٩١٢ — ٩٦١ م) بحيث أصبحوا يلقبون بالأبناء[١] .

وكان من أبرز شخصيات الموالى المروانية فى عصرى عبد الرحمن الناصر وولده الحكم المستنصر القائد غالب بن عبد الرحمن الناصرى ، إذ وصل إلى مكانة لم يبلغها قائد أندلسى آخر فى عصر الخلافة ، وكان الحكم المستنصر عرفانا منه بقدر هذا القائد المظفر ، قد أسند إليه القيادة العليا للجيوش الأندلسية .

وأصدر مرسومه بذلك إليه فى سنة ٣٦١ هـ (٩٧٢ م) وذلك « تشريفا له وتنويها بذكره لحميد غنائه وجميل مقامه »[٢] . ثم عاد الخليفة الحكم المستنصر فى السابع من شعبان سنة ٣٦٤ هـ (الثانى والعشرين من أبريل ٩٧٥ م) : « وشرفه بما لم يشرف به خليفة من خلائف الأندلس أميرا ولا قائدا سواه ، ولا تقدم لملك حاشاه » بأن قلده سيفين من ذخائر سيوفه وسماه « ذا السيفين »[٣] .

---

(١) مؤنس (د . حسين) : فجر الأندلس ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، ١٩٥٩ ، ص ٤٠٣ ومابعدها .

Levi provençal : L'Espagne Musulmane au xe siecle, Paris, 1932, P. 126; Histoire de L'Espagne. Musulmana, 3 vols, Leiden, 1950 - 1954, Vol, III, P. 209.

(٢) ابن حيان (أبو مروان حيان بن خلف بن حيان القرطبى) : المقتبس فى أخبار بلد الأندلس ، نشره وحققه الدكتور عبد الرحمن الحجى ، بيروت ، دار الثقافة ، ١٩٦٥ م ، ص ٦٩ .

(٣) ابن حيان ، المصدر السابق ، ص ٢٢٠ — ٢٢٢ .

دور غالب الناصرى فى أحداث الأندلس

ورد ذكر غالب بن عبد الرحمن الناصرى لأول مرة فى حوادث عام ٣٣٥ هـ (٩٤٦ م) ، حينما قرر الخليفة عبد الرحمن الناصر اعادة بناء مدينة سالم[(١)] Medinaceli من أعمال الثغر الأوسط ، وأرسل لذلك مولاه غالب الناصرى فى جيش كبير جرده معه من قرطبة ، كما أرسل الخليفة الناصر فى نفس الوقت إلى قواد الثغر الأوسط يأمرهم بالتعاون مع غالب لاعادة بنائها : « فسارعوا إلى أمره ، وبنيت أحسن بناء ، ونقل إليها البناؤون من مدن الثغر الأوسط لاختطاط ديارها والرباط بها » واكتمل البناء فى شهر صفر سنة ٣٣٥ هـ (سبتمبر ٩٤٦ م)[(٢)] .

---

(١) مدينة سالم Medinaceli وتقع شمالى مدريد بنحو ١٣٥ كيلو مترا فى الطريق بين مدينتى مدريد وسرقسطة . وهى الآن من أعمال مقاطعة سرية Soria ومدينة سالم قديمة البنيان وقد عرفت فى العصر الرومانى باسم Ocialis ، ولما فتح العرب الأندلس ، عمر هذه المدينة سالم بن ورعمال بن وكذات بن أكلله بن مقر بن مصاد بن مصمود ، وهم قبيل من البربر من بطن مصمودة وينتسبون بالولاء إلى بنى مخزوم ، ويبدو أن سالم بن ورعمال المذكور كان من كبار قواد البربر وأنه دخل الأندلس فى فترة مبكرة إذ أننا نرى حفيدا له هو الفرج بن مسرة بن سالم المتوفى سنة ٢١٧ هـ (٨٣٢ م) وهو الذى تنسب إليه مدينة الفرج أو وادى الحجارة .

عن مدينة سالم راجع :

ابن حزم (أبو محمد على بن أحمد بن سعيد) : جمهرة انساب العرب ، تحقيق وتعليق عبد السلام محمد هارون ، دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الخامسة ، القاهرة ، ١٩٨٢ ، ص ٤٦٦ ، الادريسى (الشريف أبو عبد الله محمد بن عبد العزيز) : صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق فى اختراق الافاق ، تحقيق دى غوية ودوزى ، ليدن ، ١٨٦٤ م ، ص ١٨٩ ، الحميرى (أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم الصنهاجى) صفة جزيرة الأندلس قطعة منتخبة من كتاب الروض المعطار فى خبر الأقطار ، نشر وتحقيق ليفى بروفنسال ، القاهرة ، ١٩٣٧ م ، ص ١٦٣ ، ١٩٣ ،

Levi Provençal, Histoire, Vol, II, P. 64, n.2.

(٢) ابن عذارى (أبو عبد الله محمد المراكشى) : البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب ، ثلاثة أجزاء ، دار الثقافة ، بيروت ، بدون تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٢١٣ ، ٢١٤ .

وكان الخليفة عبد الرحمن الناصر يهدف من اعادة بناء مدينة سالم وتحصينها جعلها قاعدة قوية للأعمال العسكرية ضد القوى المسيحية فى الشمال الأسبانى . ومن المرجح أن غالبا الناصرى كان مايزال مقيما بمدينة سالم وربما كان يتقلد القيادة العسكرية على هذه القاعدة العسكرية المتقدمة فقد روى ابن عذارى فى حوادث عام ٣٤٢ هـ (٩٥٣ م) أن القائد أحمد بن يعلى[(١)] خرج غازيا إلى جليقية وعاد منتصرا بعد أن قتل الرجال وأحرق القرى وانتسف المزارع ، فقرىء كتابه بالنصر يوم الجمعة الثامن والعشرين من ربيع الأول سنة ٣٤٢ هـ (الثانى عشر من أغسطس سنة ٩٥٣م) كما قرىء معه كتاب آخر للقائد غالب الناصرى ، يذكر عظيم ما فتح الله عليه ومنحه من نصر على المسيحيين ، ثم دخلت رؤوس القتلى قرطبة ومعها النواقيس والصلبان[(٢)] .

وفى ربيع الأول عام ٣٤٤ هـ (يوليو ٩٥٥ م) ، أغار قواد عبد الرحمن الناصر ومن بينهم غالب الناصرى على بلاد مملكة ليون ، وأنزلوا هزيمة قاصمة بقوات أردونيو الثالث ملك ليون ، هلك فيها من رجاله نحو عشرة آلاف ، فقرىء كتاب النصر بالمسجد الجامع بقرطبة ، ثم وردت رؤوس القتلى وبلغ عددها خمسة آلاف فأمر الناصر برفعها على الخشب حول سور قرطبة[(٣)] . فاضطر اردونيو الثالث إلى طلب الهدنة من عبد الرحمن الناصر ، فأجابه الناصر

---

(١) يعتبر أحمد بن يعلى من أبرز قواد عبد الرحمن الناصر وهو من أصل بربرى . أنظر عن أحمد بن يعلى ابن حيان ، المقتبس ، نشر د . بدروشالميتاود . كورينطى والأستاذ محمود صبح ، نشر المعهد الأسبانى العربى للثقافة ، مدريد ، ١٩٧٩ م ، ص ٤٥٨ ، ٤٥٩ ، ٤٦٥ ، ٤٨٤ ، ٤٨٥ ، ابن الابار (أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعى) ، الحلة السيراء ، تحقيق د . حسين مؤنس ، فى جزئين ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، ١٩٦٣م ، جـ ١ ، ص ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٨٤ ، ابن عذارى ، البيان المغرب ، حـ ٢ ، ص ٢١٠ ، ٢١٢ ، ٢١٥ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ .

(٢) ابن عذارى ، المصدر السابق ، حـ ٢ ، ص ٢١٨ .

Levi provençal, Histoire, Vol, II, P. 68.

(٣) ابن عذارى ، البيان المغرب ، حـ ٢ ، ص ٢١٩ ، ٢٢٠ ،

Levi provençal, Histoire, Vol, II, P. 68.

إلى طلبه ، وبعث إليه سفيره محمد بن الحسين وطبيبه الخاص حسداى بن شبروط اليهودى(١) ، وتمكن السفيران من اقناع اردونيو الثالث بضرورة التفاهم مع الناصر فتنازل عن عدد من الحصون وتعهد بعدم العدوان على بلاد المسلمين وعلى هذا الأساس فقط منحه الناصر الهدنة . وفى العام التالى (٣٤٥ هـ/٩٥٦ م) طلب اردونيو الثالث من الخليفة الناصر ادخال فرناندو وجونثالث كونت قشتالة فى اتفاقية السلام ، فأجابه الناصر إلى طلبه وأدخله فى عهده(٢) .

وفى عام ٣٤٦ هـ (٩٥٧ م) برز غالب الناصرى إلى فحص السرادق(٣)

---

(١) ولد حسداى بن شبروط بمدينة جيان عام ٣٠٣ هـ (٩١٥ م) ، وكان قد هاجر مع عائلته صبيا إلى قرطبة ودرس الطب ومارسه ، وقد كلفه الخليفة عبد الرحمن الناصر بأن يترجم من اللاتينية إلى العربية كتاب ديسقوريدس عن الحشائش ، وكان هذا الكتاب قد ألفه ديسقوريدس باليونانية ثم ترجمه إلى اللاتينية الراهب نيقولاس ، وكان الأمبراطور البيزنطى قسطنطين السابع قد أرسل النسخة اللاتينية إلى الخليفة الناصر راجع عن كتاب ديسقوريدس : سالم : قرطبة ، حـ ٢ ، ص ١٦٥ — ١٦٦ ، وكان حسداى بن شبروط مسئولا عن الادارة المالية بقرطبة فى عصر الناصر . بالاضافة إلى قيامه ببعض المهام السياسية والدبلوماسية التى كان يكلفه بها الخليفة الناصر .
عن حسداى بن شبروط راجع :
ابن حيان المقتبس ، نشر شالميتا ، ص ٤٥٤ — ٤٥٥ ، ٤٦٦ ، ٤٦٧ ، ابن عذارى ، البيان المغرب ، حـ ٢ ، ص ٢٢١ ، المقرى ، نفح الطيب ، حـ ١ ، ص ٣٤٢ ، سالم،قرطبة ، حـ ١ ، ص ٦٩ ، ٧٠ ، عنان ، دولة الاسلام ، ق ٢ ، ص ٤١٧ ، أحمد مختار العبادى ، فى تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٢١٣ ، ٢١٤ .

Levi provençal, Histoire, Vol, II, P. 69, 230-231.

(٢) المقرى ، نفح الطيب ، حـ ١ ، ص ٣٤٢ ،

Levi Provençal, Ibid. P. 68.

(٣) كان فحص السرادق يقع جوفى نهر قرطبة بالطرف الشرقى من قرطبة . وكان فى أول امره قصيرا ريفيا لتنزه الأمراء الأمويين . ومن المرجح أن يكون فحص السرادق قد تحول فى عصر الخليفة عبد الرحمن الناصر إلى مكان لوضع سرادق الخليفة لاستعراض الجيوش قبل خروجها للغزو ، فقد كان السرادق السلطانى قبل عصر الناصر ينصب بفحص الربض بشقنده .
راجع : ابن حيان ، المقتبس ، نشر ملشور انطونية ، ص ٩٤ ، ابن عذارى ، البيان ، حـ ٢ ، ص ٢٠٤ ، المقرى ، نفح الطيب ، حـ ٢ ، ص ٢١ ، سالم ، قرطبة ، حـ ١ ، ص ٢١٠ .
Levi Provençal, L'Espagne Musulmane au xe siecle, P. 141, No, 1.

غازيا إلى مملكة نبره ، ونجح فى افتتاح بعض حصونها(١) .

توفى الملك أردونيو الثالث وخلفه على عرش ليون سانشو الأول ، الذى رفض تنفيذ المعاهدة التى عقدها أخوه اردونيو الثالث مع الناصر ، فاضطر الناصر إلى مهاجمة بلاده بهدف ارغامه على تنفيذ المعاهدة المذكورة ، وبعث قائده أحمد بن يعلى فى الجيش إلى ليون ، فغزاها ، وتوغل فى أراضيها ، فاضطر سانشو أن يعقد الصلح وأن يقر ما سبق أن تعهد به أخوه . غير أن ذلك لم يرض أولى الأمر فى مملكة ليون الذين اشتد استياؤهم على سانشو الأول وربما أرجعوا عجزه عن مواجهة المسلمين إلى افراطه فى السمنة وعدم قدرته على ركوب الخيل ، فاجتمع رأيهم على عزله ، فعزل وخلفه أردونيو الرابع أما سانشو الأول فقد لجأ إلى بلاط جدته الملكة طوطة فى نافار (نبرة) التى لم تتردد فى اصطحابه إلى قرطبة عام ٣٤٧ هـ (٩٥٩ م) وبرفقتهما ابنها غرسية بن سانشو الأول ملك نافار ، مستهدفة من هذه الرحلة طلب المساعدة من الخليفة عبد الرحمن الناصر لاعادة حفيدها إلى عرش ليون ولمعالجته من السمنة المفرطة على يد أطباء قرطبة الماهرين وذلك نظير التخلى عن عشرة حصون واقعة على الحدود ، فوافق الناصر وأرسل قوة إسلامية أعادت سانشو إلى عرش مملكة ليون(٢) .

توفى عبد الرحمن الناصر فى الثانى من رمضان سنة ٣٥٠ هـ (الخامس عشر من أكتوبر سنة ٩٦١ م) ، وخلفه ابنه وولى عهده الحكم المستنصر الذى تابع سياسة ابيه ازاء نصارى الشمال ، فعمل على التصدى لسياستهم التوسعية واستعمل فى ذلك الأساليب الدبلوماسية والعسكرية معا . وكان الناصر — كما سبق أن ذكرت — قد عاون سانشو الأول ملك ليون على استرداد عرشه من منافسة اردونيو الرابع مقابل ان يسلم النصارى بعض حصون الحدود إلى

---

(١) ابن عذارى ، البيان المغرب ، حـ ٢ ، ص ٢٢١ ، سالم ، قرطبة ، حـ ١ ، ص ٢١٠ .
(٢) ابن عذارى ، البيان المغرب ، حـ ٢ ، ص ٣٥ ، المقرى ، نفح الطيب ، حـ ١ ، ص ٣٤٢ ، ٣٤٣ .

Levi provençal, Histoire, Vol, III, P. 176.

المسلمين ، إلا أن سانشو الأول تراجع عن تنفيذ وعوده . وفى نفس الوقت وفد أردونيو الرابع على غالب الناصرى فى مدينة سالم ، وصحبه الأخير إلى مدينة قرطبة ، فدخلاها فى أواخر شهر صفر سنة ٣٥١ هـ (الثامن من أبريل سنة ٩٦٢ م) ، فاستقبله المستنصر استقبالا رائعا وعندما مثل أردونيو أمام الخليفة الحكم المستنصر تضرع إليه أن يعيده إلى عرشه مؤكدا أنه ليس مثل ابن عمه سانشو الأول الذى خالف شروط الاتفاق مع الناصر ووعد بأن يضع نفسه وأرضه وشعبه تحت تصرف الخليفة المستنصر ، فأكرمه المستنصر ووعده باعادته إلى عرشه على شرط ان يتعهد بحفظ السلام بينه وبين الخلافة الأموية وأن يترك ابنه رهينة فى قرطبه ، وبمجرد أن وقع أردونيو الرابع اتفاقية الصلح وضع المستنصر تحت امرته جيشا على رأسه قائده غالب الناصرى[1] .

وعندئذ تحرج مركز سانشو الأول ملك ليون وأدرك النهاية المتوقعة فجليقية رفضت أن تعترف به حتى الآن ، وبدا أنها سوف تؤيد أردونيو الرابع لو عاد بقوة إسلامية ، ثم ان الامارات الأخرى التى كانت موالية لسانشو الأول نفسه كانت لا تميل إليه ، وربما كانت تنوى التمرد عليه حتى لا تعرض نفسها للغزو الاسلامى ومن ثم فقد اتخذ سانشو قرارا ، فبعث إلى الخليفة الحكم المستنصر وفدا من كبار رجالات دولته ، يعرض عليه أن يعترف بطاعته ، ويتعهد بتنفيذ ما تنازل عنه للمسلمين من الحصون الواقعة على الحدود للناصر وهدم البعض الآخر . ولكن أردونيو الرابع ما لبث أن توفى ، مما بدد مخاوف سانشو الأول ، وجعله يطمئن على عرشه ، فقد مات منافسه ، وقرر سانشو الأول الاستعانة بحلفائه القدامى من اخوانه ملوك نبره ، وفرناندو جونثالث كونت

(١) ابن عذارى ، البيان المغرب ، حـ ٢ ، ص ٢٣٥ ، المقرى ، نفح الطيب ، حـ ١ ، ص ٣٦٥ ، عنان ، دولة الاسلام ، ق ٢ ، ص ٤٨٤ ــ ٤٨٦ ، سالم ، تاريخ المسلمين ، ص ٢٩٠ .
Dozy, Histoire, Vol, II, P. 448; Levi provençal, Histoire, Vol, II, P. 176.

قشتالة ، وكونت برشلونة وغيرهم من الامراء النصارى[1] .

وفى عام ٣٥٢ هـ (٩٦٣ م) ، استنفر الحكم المستنصر جيوش الأندلس للجهاد ، فاجتمعت إليه فى مدينة طليطلة ، فاخترق أراضى قشتالة ، واستولى على قلعة شنت اشتيبن الحصينة ، واجبر كونت قشتالة على طلب الصلح وعاد غانما ظافرا إلى قرطبة[2] . ويغلب على الظن أن القشتاليين نكثوا عهدهم مما جعل الخليفة الحكم المستنصر يرسل فى نفس العام قائده غالب الناصرى لغزو أراضى قشتالة ، « فجمع له القشتاليون فهزمهم واستباح بلادهم »[3] .

وفى العام التالى (٣٥٣ هـ/٩٦٤ م) سار غالب الناصرى فى جيش كبير ، وأفتتح مدينة قلهرة[4] من قواعد نافار الغربية ، فعمرها ، وأعتنى بها[5] . وفى عام ٣٥٤ هـ (٩٦٥ م) سار غالب الناصرى إلى بلاد ألبة ومعه القائدين يحيى بن محمد التجيبى ، وقاسم بن مطرف بن ذى النون ، فأفتتح حصن غرماج على نهر دويرة على مقربة من مدينة سالم ، وكان الخليفة عبد الرحمن الناصر قد أنتزعه من النصارى فى التاسع من شوال ٣٢٩ هـ (السابع من يوليو عام ٩٤٠ م) والظاهر أن القشتاليين بقيادة فرناندو جونثالث كانوا قد أستولوا عليه فيما استولوا عليه من قواعد الحدود قبل أن يخرج الحكم المستنصر

(١) ابن عذارى ، البيان المغرب ، حـ ٢ ، ص ٢٣٥ ، ابن خلدون ، العبر ، حـ ٤ ، ق ٢ ، ص ٣١٢ ، المقرى ، نفح الطيب ، حـ ١ ، ص ٣٦٥ ، عنان ، دولة الاسلام ، ق ٢ ، ص ٤٨٦ ، سالم ، تاريخ المسلمين ، ص ٢٩٠ .
Levi Provençal, Histoire, Vol, II, P. 177.

(٢) ابن خلدون ، المصدر السابق ، حـ ٤ ، ق ٢ ، ص ٣١٣ ، المقرى ، المصدر السابق ، حـ ١ ، ص ٣٥٩ ، عنان ، نفسه ، ص ٤٨٦ .

(٣) ابن خلدون ، العبر ، حـ ٤ ، ق ٢ ، ص ٣١٣ ، المقرى ، نفح الطيب ، حـ ١ ، ص ٣٥٩ .

(٤) تقع قلهرة Calahorra فى شمال غرب مدينة سرقسطة وتبعد عن مدينة تطيله بنحو ٤٢ كم . الحميرى ، الروض المعطار ، ص ٢٤٨ ، الفاسى ، الاعلام الجغرافية الأندلسية ، ص ٣٣ .

(٥) ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص ٣١٣ ، المقرى ، المصدر السابق ، ص ٣٥٩ ، عنان ، دولة الاسلام ، ق ٢ ، ص ٤٨٧ ، سالم ، تاريخ المسلمين ، ص ٢٩٠ ،
Levi provençal, Histoire, Vol, III, P. 179.

للغزو فاستردّه غالب الناصرى[1] . ويروى ابن عذارى فى حوادث عام ٣٥٥ هـ (٩٦٦ م) خروج غالب الناصرى لغزو أراضى قشتالة فيقول : « وفى سنة ٣٥٥ هـ ، أغزى الحكم القائد غالباً ، ففتح الله فى المشركين وانصرف سالماً » بينما يروى فى حوادث عام ٣٥٦ هـ (٩٦٧ م) أنه فى يوم الجمعة الموافق السادس والعشرين من شهر شوال سنة ٣٥٦ هـ (الرابع من أكتوبر سنة ٩٦٧ م) قرىء بمسجد قرطبة الجامع كتاب فتح ورد من القائد غالب الناصرى ، يذكر فيه ما الحقه بجيوش قشتالة من القتل والسبى ، ثم أعقب ذلك دخول رؤوس القتلى مدينة قرطبة[2] . ويبدو أن المسيحيين استردوا حصن قلهرة الذى سبق أن افتتحه غالب الناصرى عام ٣٥٣ هـ (٩٦٤ م) ، إذ يشير ابن عذارى إلى خروج القائد غالب الناصرى فى شهر رمضان سنة ٣٥٧ هـ (يوليو — أغسطس سنة ٩٦٨ م) بصحبة القائد سعيد بن الحكم الجعفرى على رأس جيوش الثغر بالصائفة على حصن قلهرة ، فأقاما عليه ، وأشرفا على استكمال بناء دفاعاته وتحصيناته ، ثم عادا إلى قرطبة[3] .

---

(١) ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص ٣١٤ ، المقرى ، المصدر السابق ، ص ٣٦٠ ، عنان ، المرجع السابق ، ص ٤٨٧ .

Levi provençal, Histoire, P. 179, n.2

(٢) ابن عذارى ، البيان المغرب ، حـ ٢ ، ص ٢٤٠ .

(٣) ابن عذارى ، المصدر السابق ، ص ٢٤١ .

Levi provençal, Histoire, Vol, II, P. 179.

وفى عصر الخليفة الحكم المستنصر عاود النورمانديون[1] الاغارة على سواحل الأندلس . ففى أول رجب سنة ٣٥٥ هـ (يونيو ٩٦٦ م) وردت رسالة من قصر أبى دانس[2] Alcacer do Sal الواقع جنوبى الأشبونة

---

(١) عن النورمنديين وأصلهم وموطنهم وغاراتهم على الأندلس راجع :
مجهول ، أخبار مجموعة ، ص ٩٩ ، ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ٧٨ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٣ ، العذرى ، ترصيع الأخبار ، ص ٩٨ ، ٩٩ ، ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق محمود مكى ، ص ٢٦ وتعليق رقم ٨٦ ص ٤٤٧ ، ٤٤٨ ، ص ٣٠٧ — ٣٠٩ ، ابن الاثير ، الكامل فى التاريخ ، حـ ٥ ، ص ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ابن سعيد ، المغرب فى حلى المغرب ، حـ ١ ، ص ٤٩ ، ٥٠ ، ابن الآبار ، الحلة السيراء ، حـ ١ ، ص ١٦١ ، ابن عذارى ، البيان المغرب ، حـ ٢ ، ص ٨٧ ، ٨٨ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ، ق ٢ ، ص ٢١ ، ابن خلدون ، العبر ، حـ ٤ ، ص ٢٨١ ، ٣٨٢ ، ٣٨٣ ، النويرى ، نهاية الأرب ، حـ ٢٢ ، ص ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٦ ، المقرى ، نفح الطيب ، حـ ١ ، ص ٣٢٧ ، مؤنس ، غارات النورمانديين على الأندلس بين سنتى ٢٢٩ — ٢٤٥ هـ ، المجلة التاريخية المصرية ، العدد الأول ، المجلد الثانى ، مايو ١٩٤٩ م ، ص ٢٨ ، ٣٠ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٦ ، ٣٨ ، ٤٠ — ٤٢ ، عنان ، دولة الاسلام ، ق ١ ، ص ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، سالم ، تاريخ المسلمين ، ص ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، تاريخ البحرية الاسلامية فى حوض البحر الأبيض المتوسط (البحرية الاسلامية فى المغرب والأندلس) ، بيروت ، ١٩٧٢ ، ص ١٥٢ — ١٦٦ ، العبادى ، فى تاريخ المغرب والأندلس ، ص ١٤٨ — ١٦٠ ، مؤنس ، معالم تاريخ المغرب الأندلس ، ص ٢٨١ ، ٢٨٢ .

Dozy, Histoire, Vol, I, P. 260 - 262.

Aguado Bleye, Historia de Españа, P. 415 - 416.

Levi provençal, Histoire, Vol, I, P. 223 - 235.

(٢) قصر أبى دانس ، حصن فى ناحية الجوف فى الأندلس ، يقع فى منطقة الحدود بين كورتى الأشبونة وباجة . وهو منسوب إلى بانيه أبى دانس بن عوسجة المصمودى ، ذكره ابن حزم فى سياق كلامه عن المصامدة فى الأندلس ، وقال : « وبنودانس بن عوسجة كانوا أصحاب قلنبيرة والى جدهم ينسب قصر أبى دانس فى الجوف » . ويسمى الموضع حاليا Alcacer do sal (بالبرتغالية قصر الملح) وهو يقع على نهر شطوبر الذى يسمى اليوم SADO وهو نهير صغير يصب فى بحيرة ضحلة صغيرة متصلة بالبحر تسمى اليوم Setubal ، وقد أعاد الحكم المستنصر بناء الحصن بعد غارة النورمانديين على غرب الأندلس سنة ٣٥٩ هـ (٩٧٠ م) ، وكان لقصر أبى دانس دور عظيم فى العصر الموحدى ، نظرا لاهتمام خلفاء الموحدين بالدفاع عن غرب الأندلس ، وفى سنة ٦١٤ هـ (١٢١٧ م) استعان البرتغاليون فى الاستيلاء على الحصن بأسطول من الصليبيين الألمان ومع ذلك لم يسقط فى أيديهم إلا بعد قتال مرير وحصار طويل فى جمادى الثانية ٦١٤ هـ (سبتمبر ١٢١٧ م) فى يد الفونسو الثانى ملك البرتغال ولا زالت بقية الحصن العربى قائمة فيه .
راجع : ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، ص ٤٦٦ ، أبو الفدا ، تقويم البلدان ، ص ١٦٩ ، الحميرى ، الروض المعطار ، ص ١٦١ ، ١٦٢ ، محمد الفاسى ، الاعلام الجغرافية الأندلسية ، =

(لشبونة)[1] تشير إلى قيام النورمانديين فى ثمانية وعشرين مركبا بمهاجمة قصر أبى دانس ، وعاثوا فى تلك المنطقة ، ثم زحفوا شمالا إلى بسائط أشبونة ، وعاثوا فيها تخريباً ونهباً ، واجتمع المسلمون فى تلك المنطقة لقتالهم ، ونشبت بين الطرفين معركة دامية ، أسفرت عن هزيمة ساحقة للنورمانديين . وفى نفس الوقت خرج أسطول أشبيلية من نهر الوادى الكبير بقيادة أمير البحر عبد الرحمن بن رماحس وتمكن من اللحاق بالأسطول النورماندى عند مصب وادى شلب ، فدمر معظم قطعه وانقذ من كان بها من أسرى المسلمين[2] . إلا أن النورمانديين عادوا مرة أخرى إلى تهديد السواحل الغربية للأندلس فى أوائل رمضان سنة ٣٦٠ هـ (يونيو سنة ٩٧١ م) ، فعهد الخليفة الحكم المستنصر إلى عبد الرحمن بن محمد بن رماحس قائد البحر بالخروج إلى مدينة المرية لحشد الأسطول الاسلامى المرابط بها والمسير إلى السواحل الغربية للأندلس ، فخرج ابن رماحس من قرطبة يوم الاثنين السادس من رمضان ٣٦٠ هـ (الثالث من يوليو سنة ٩٧١ م) فى طريقه إلى المرية . كما أستقدم الخليفة القائد غالب الناصرى وكان حاضراً يومئذ بقرطبة ، وعهد إليه بالإشراف على القوات البرية والبحرية التى أعدت لمدافعة النورمانديين : « لضلاعته وغنائه وعلمه بثقوب نظره ومحمود اكتفائه وحدَّ له حدوداً أمره بالتزامها والوقوف عليها وبسطه أتم بسط وقربه أفضل تقريب ، وأستودعه الله عز وجل وأمره بالنهوض والأخذ فى شأنه وانطلق وهو يشيعه بدعائه ويسئل الله له وللمسلمين جميل صنعه وحسن

= ص ٣٣ ، وارجع أيضا إلى سحر السيد عبد العزيز سالم ، التاريخ السياسى لبطليوس الاسلامية (رسالة ماجستير ، الاسكندرية ، ١٩٨٤) ص ١٦٨ وما يليها .

(١) تقع أشبونة على الضفة الشمالية لنهر تاجة Tajo عند مصبه فى المحيط الأطلسى . وهى عاصمة جمهورية البرتغال الحالية (لشبونة) وتتصل كورة الأشبونة بكورة باجة فى جنوبها الشرق وبكورة شنترين فى شمالها الشرق .
أنظر عن أشبونة : الأدريسى ، صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس ، ص ١٨٣ — ١٨٦ ، ياقوت ، معجم البلدان ، حـ ٤ ، ص ٣٥٦ ، الحميرى ، صفة جزيرة الأندلس ، ص ١٦ — ١٨ ، راجع أيضا : سحر السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص ١٨٠ .

(٢) ابن عذارى ، البيان المغرب ، حـ ٢ ، ص ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، عنان ، دولة الإسلام ، ق ٢ ، ص ٤٨٨ ، سالم ، البحرية فى المغرب والأندلس ، ص ١٨١ ، ١٨٢ .
Levi Provençal, Histoire, Vol, II, P. 170.

عاقبته »[1] . ويشير ابن حيان إلى أن الخليفة الحكم المستنصر أمر بتوفير كل ما يحتاج إليه من سلاح وعدة ، وأقيم احتفال كبير فى قرطبة بمناسبة خروج غالب الناصرى « وفصل للغزوة وبين يديه العدة والعديد وصف من الجند قد غص بهم الطريق ، فنفذ لسبيله »[2] . ومن المرجح أنه لم تقع أية معارك هامة بين المسلمين والنورمانديين ، إذ لم يحدثنا ابن حيان عن وقوع مثل هذه المعارك . بل أننا نستدل من خلال حديثه عن الاحتفال بعودة غالب من غزوته أن الله تعالى كفى المسلمين القتال وأنه لم يقع قتال بين المسلمين والنورمان والأرجح أن النورمان ارتدوا من تلقاء أنفسهم لما رأوا من تفوق قوى المسلمين . ويهنىء الشاعر محمد بن حسين الطبنى الخليفة الحكم بهذه النتيجة العظيمة فيقول :

بسَعدك يُبلى غالبُ لا ببأسه ... فأنت ولى الشكر فى كل ما أبلى
وباسمك يغدو أعزل الجيش رامحاً ... ولولاك كان الرمحون به عُزلا
رَمَيتَ به جيش المجوس عناية ... بتحصينك التقوى وتأمينك السُبلا
ولما أحاطت بالمحيط جنوده ... فلم تبق من شطيه عُلواً ولا سفلاً[3]

وفى يوم الجمعة الثانى من شهر صفر سنة ٣٦١ هـ (الرابع والعشرين من نوفمبر سنة ٩٧١ م) وصل غالب الناصرى إلى فحص السرادق قافلا من غزاته إلى السواحل الغربية للأندلس ويصف ابن حيان الاحتفال الكبير الذى أقيم له بقرطبة بمناسبة عودته بقوله : « فاستركب (أى الخليفة الحكم المستنصر) إليه الجيوش يوم السبت بعده من قصر قرطبة فى التعبئة المنتظمة بالعُدد الفخمة ، فيها الشطرنج والألوية ، فتقدم من محلته وبين يديه المراكب على أجل هيئة وأتم أهبه ، إلى أن وصل إلى قصر قرطبة والخليفة يومئذ مقيم به ، فتوصل إليه وقعد بين يديه ملياً مفاوضا له ومسائلا عن حركاته وتقلبه فى غزاته التى كفى الله فيها المسلمين القتال وكان الله قويا عزيزا . فخلع عليه وانطلق إلى داره ، محموداً سعيه »[4] .

(١) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق د . الحجى ، ص ٢٣ ، ٢٤
(٢) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق الحجى ، ص ٢٥ ، ٢٦ .
(٣) ابن حيان ، المصدر السابق ، ص ٦١ .
(٤) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق الحجى ، ص ٦٦ — ٦٧

دور غالب الناصرى فى أحداث المغرب الاسلامى

أهتم الأمويون فى الأندلس إهتماماً بالغاً ببلاد المغرب منذ قيام الدولة الفاطمية عام ٢٩٦ هـ/٩٠٩ م ، إذ كانت عدوة المغرب تتطلع إلى السيطرة على الأندلس والقضاء على دولة بنى أمية السنية ، وكانت لذلك تشجع الخارجين فى الأندلس على الحكومة المركزية وتزودهم بالعدد والسلاح ، فكانت السفن الفاطمية تتردد تباعا على سواحل جنوب شرقى الأندلس تحمل من المعدات والأقوات ما يعين عمر بن حفصون وبنيه على مناوأة الحكم الأموى فى قرطبة وتدميره . وكان ذلك حافرا لعبد الرحمن الناصر على اصطناع سياسة بحرية لمنع سفن الفاطميين من الاقتراب من سواحل الأندلس ، كما أنه نقل المعركة بينه وبينهم إلى المغرب بعد أن والى القبائل الزناتية الأعداء التقليديين لقبائل صنهاجة وكتامه التى كانت تؤيد الفاطميين . وقد أضطر الأمويون فى الأندلس إلى محاربة الأدارسة حلفاء الفاطميين وأرغموهم فى نهاية الأمر على طلب الصلح من الخليفة عبد الرحمن الناصر والأعتراف بطاعته[1] .

ثم تطور الصراع بين الأمويين والفاطميين إلى صدام بحرى مسلح ، ففى عام ٣٤٤ هـ (٩٥٥ م) أنشأ الخليفة عبد الرحمن الناصر مركبا كبيرا بدار الصناعة بالمرية وسير فيه أمتعة إلى بلاد الشرق ، فلقى فى البحر مركبا يحمل رسولا من أمير صقلية إلى الخليفة المعز لدين الله الفاطمى ، فقطع عليه أهل المركب الأندلسى واستولوا على ما يحمله ، فلما بُلغ الخليفة المعز بما حدث ،

(١) عن الصراع الأموى الفاطمى راجع : البكرى ، المغرب فى ذكر بلاد أفريقية والمغرب ، جزء من كتاب المسالك والممالك ، طبع دى سلان ، الجزائر ، ١٩١١ ، ص ٨٨ ، ٨٩ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ابن حيان ، المقتبس ، نشر بدور شالميتا ، ص ٢٨٩ ، ٣٧٤ ، ٣٧٥ ، ابن عذارى ، البيان المغرب ، حـ ١ ، ص ١٩٩ ، ٢٠١ ، حـ ٢ ، ص ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ، الجزء الخاص بالمغرب ، نشر وتحقيق د . أحمد مختار العبادى ومحمد ابراهيم الكتانى ، الرباط ، ١٩٦٤ م ، ص ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، سالم ، المغرب الكبير ، العصر الاسلامى ، ص ٦١٠ ، ٦١٢ ، ٦١٣ .

Levi provençal, le politica africana de Abd-Al-Rahman, III, Al-Andalus, Vol, XI, Fasc, 2, 1948, P. 351-378.

حشد أسطولاً قوياً وولى عليه الحسن بن على صاحب صقلية وسيّره إلى الأندلس ، فوصلوا إلى ميناء المرية ، ودخلوا مرساها وأحرقوا جميع ما فيه من المراكب ، ثم استولوا على المركب الأندلسى الكبير وكان قد عاد من الاسكندرية مشحونا بأمتعة وجوارى ومغنيات للخليفة عبد الرحمن الناصر ، ثم صعد رجال الأسطول الفاطمى إلى البر ، فقتلوا ونهبوا ورجعوا سالمين إلى المهدية[1] . وكان رد الفعل الأموى بأن أمر الخليفة عبد الرحمن الناصر باعداد أسطول أموى من ستين سفينة بقيادة غالب بن عبد الرحمن الناصرى ، فقام فى العام التالى (٣٤٥ هـ/٩٥٦ م) بمهاجمة سواحل المغرب التابعة للفاطميين[2] .

ظل الأدارسة على طاعة الأمويين إلى أوائل عام ٣٦١ هـ (٩٧١ م) ، عندما أرسل الخليفة المعز لدين الله الفاطمى قائده بلكين بن زيرى بن مناد الصنهاجى غازيا إلى بلاد المغرب الأقصى للانتقام من قبيلة زناته لقتلهم والده زيرى بن مناد الصنهاجى وكانت قبيلة زناته من القبائل المغربية المحالفة للدولة

(١) تقع المهدية على ساحل المغرب الأدنى وهى على اسم عبيد الله المهدى والسبب فى بنائها كعاصمة جديدة للدولة الفاطمية الناشئة يرجع إلى شعور المهدى بالحاجة إلى حصن يحتمى فيه إذا ما تغيرت عليه نفوس رعاياه الذين كانوا سنيين فى معظمهم . ولذا اختار المهدى عاصمته الجديدة على شبه جزيرة بالساحل التونسى بين سوسة وصفاقص كى يتسنى له الاعتماد على أسطوله فى حماية المدينة وتموينها من البحر ابان الأزمات ثم أن هذا المكان الساحلى يعتبر قاعدة بحرية هامة للمشروعات التى كانت تدور بخلده وقتئذ مثل الاستيلاء على مصر والأندلس وسواحل البحر المتوسط . ويروى المؤرخون أن الخليفة المهدى قد أشرف بنفسه على بناء مرسى المهدية . كما أنشأ على ساحلها دارا كبيرة للصناعة ، ثم بنى المهدى حولها أسوارا محكمة ذات أبواب ضخمة . ويقال أنه لما فرغ من بنائها قال « آمنت اليوم على الفاطميات » وهذا دليل على حصانتها .
راجع : ابن الاثير ، الكامل فى التاريخ ، حـ ٨ ، ص ٣٥ ، مؤلف مجهول ، الاستبصار ، ص ١١٧ — ١١٨ ، المقريزى ، أتعاظ الحنفا ، حـ ١ ، ص ١٠١ ، ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، ص ٤٦ — ٤٨ .

(٢) ابن عذارى ، البيان المغرب ، حـ ٢ ، ص ٢٢١ ، سالم ، المغرب الكبير ، ص ٦١٢ ، ٦١٣ ، المرية قاعدة الأسطول الاسلامى فى الأندلس ، ص ٣٨ ، ٣٩ ، البحرية فى المغرب والأندلس ، ص ١٧٧ .

Levi provençal, Histoire, Vol, II, P. 108.

الأموية فى الأندلس ، وكان قد أنضوى تحت لوائهم جعفر ويحيى ابنا على بن حمدون المعروف بالأندلسى وهما من أصل بربرى من قبيلة كتامة البربرية ، وأول من دخل من أسرتهم إلى الأندلس جدهم الأكبر عبد الحميد ، وكان نزوله بكورة البيرة ، ثم انتقل حفيده حمدون إلى بجاية فأستقر بها ، وقد خرج حمدون هذا مع ابنه على إلى المشرق سنة ٢٨٧ هـ (٩٠٠ م) لأداء فريضة الحج ، وفى طريق عودتهما من الحجاز ، نزلا بالمغرب حيث أتصل على بن حمدون بأبى عبد الله الشيعى داعى دعاة الشيعة الفاطميين ببلاد المغرب وقيل ان أبا عبد الله الشيعى هو الذى أطلق على علىّ ابن حمدون إسم على وكان أبوه قد سماه « بثعلبة » فأرتفعت مكانة ابن حمدون ومنزلته عند الفاطميين عقب قيام دولتهم فى المغرب ، فأسندوا إليه الاشراف على بناء مدينة المسيلة وولاه الخليفة عبيد الله المهدى عليها . وكان على بن حمدون قد تزوج من ميمونة بنت علاهم الجيلى التى تنتمى إلى بطن من بطون قبيلة كتامة البربرية وأنجب منها ولديه جعفر ويحيى . وقد ظل على بن حمدون فى خدمة الدولة الفاطمية حتى قتل سنة ٣٣٤ هـ (٩٤٦ م) أثناء قتاله لأبى يزيد مخلد بن كيداد اليفرنى الخارجى الثائر على الفاطميين فى المغربين الأدنى والأوسط ، وكانت له معهم حروب كثيرة . ثم تولى جعفر بن على بن حمدون على المسيلة عقب وفاة والده وظل عليها إلى أن قام زيرى بن مناد الصنهاجى القائم على حكم المغرب باسم الفاطميين بقتل محمد بن الخير بن خزر أمير زناته والقائم بدعوة بنى أمية فى المغرب ، وتمكن زيرى من الاستيلاء على فرس من عتاق الخيل كان الخليفة المعز لدين الله الفاطمى قد أهداها لجعفر بن على بن حمدون فقام جعفر باهدائها إلى محمد ابن الخير بن خزر ، فأرسل زيرى بن مناد الصنهاجى هذه الفرس مع خطابات أخرى منسوبة إلى جعفر بن على ، كان قد ارسلها إلى محمد بن الخير ، يطلعه فيها على عورات زيرى بن مناد ويحذره منه ، فلما علم الخليفة المعز لدين الله بتحول جعفر بن على بولائه إلى الزناتيين ، أستدعاه بأهله وولده وماله إلى حضرته ، وكتب إليه يعزيه عن محمد بن الخير متقرعا له ، وأشار إلى الفرس التى عثر عليها بحوزته بقوله : « أعظم الله أجرك

فى خليلك ، فقد أجاد قتالنا على الفرس التى كنا حملناك عليه ، وأثرناك به على أنفسنا » . فعند ذلك أسقط فى يد جعفر بن على وايقن بالموت لا محاله ، فخرج من المسيلة مع أخيه يحيى وجميع أهله وولده وعبيده وماله فى جمادى الآخرة سنة ٣٦٠ هـ (أبريل سنة ٩٧١ م) إلى بنى خزر امراء زناته وأعلنوا خضوعهم للخليفة الحكم المستنصر ، وأجتمعت قوات بنى خزر وجعفر ويحيى على قتال زيرى بن مناد ودارت بينهما الحرب وانهزم زيرى وقتل معه معظم رجاله فى شهر رمضان ٣٦٠ هـ (يونيو — يوليو سنة ٩٧١ م) وأحتز الزناتيون رأس زيرى ورؤوس عدة من أكابر قواده ، وحملوها ومعهم جعفر ويحيى إلى قرطبة حيث أستقبلهم الخليفة الحكم المستنصر استقبالا رائعا فى قصر الزهراء[١] .

كان رد الفعل الفاطمى عنيفاً ، إذ سير الخليفة المعز لدين الله قائده بلكين ابن زيرى ، وأمره باستئصال قبيلة زناته واخضاعها ، ووصل بلكين إلى المغرب الأقصى وفى يوم الخميس السابع عشر من ربيع الآخر سنة ٣٦١ هـ (السادس من فبراير سنة ٩٧٢ م) التقى بلكين مع محمد بن الخير بن خزر أمير زناته ، فهزمه بلكين شر هزيمة ، واثخن فى رجاله ، وقتل جماعة من امراء زناته ، فلما أيقن محمد بنهايته ، اتكأ على سيفه فذبح نفسه حتى لايقع أسيراً فى أيدى بلكين . فملك بلكين المغرب بأكمله ، وقطع منه الدعوة للأمويين ، وقتل أولياءهم ، وأخذ البيعة على جميع أهل المغرب للخليفة المعز لدين الله ، فكان أول من سارع إلى بيعة المعز ونصرته وقتال أنصار المروانيين معه الحسن بن كنون[٢] .

(١) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق الحجى ، ص ٣٣ — ٣٨ ، ابن الآبار ، الحلة السيراء ، حـ ١ ، ص ٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ابن عذارى ، البيان المغرب ، حـ ٢ ، ص ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، مؤلف مجهول ، مفاخر البربر ، ص ٥ — ٨ ، Levi provençal, Histoire, Vol, II, P. 187 - 188.

(٢) ابن حيان ، المصدر السابق ، ص ١٠٢ ، ابن الآبار ، المصدر السابق ، حـ ١ ، هامش (٢) ص ٢٢٧ ، ابن عذارى ، المصدر السابق ، حـ ٢ ، ص ٢٤٤ ، ابن أبى زرع ، الأنيس المطرب بروض القرطاس فى أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، طبعة فاس ، ١٣٠٥ هـ ، ص ٥٦ ، السلاوى ، الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى ، طبعة الدار البيضاء ، بدون تاريخ ، حـ ١ ، ص ٢٠٠ ، عنان ، دولة الاسلام ، ق ٢ ، ص ٤٩٤ .

فلما بلغت هذه الأنباء الخليفة الحكم المستنصر ، عزم على انفاذ جيش كبير إلى بلاد المغرب لقتال الحسن بن كنون . وفى يوم الخميس الثانى عشر من رمضان سنة ٣٦١ هـ (السابع والعشرين من يوليو سنة ٩٧٢ م) استدعى الحكم المستنصر الوزير القائد محمد بن القاسم بن طملس ، وعهد إليه بالاستعداد للخروج إلى مدينة سبتة : « فتقدم بتوصيته بتقوى الله ربه ، وايقاظ رأيه وعزمه ، واستعمال جهده وجده فى مغاورة الفاسق حسن وأخماد ناره »[1] . فلما اكتملت الاستعدادات ، خرج محمد بن القاسم بن طملس من قرطبة ، فركب البحر من الجزيرة الخضراء ، يوم السبت التاسع عشر من شوال سنة ٣٦١ هـ (الثانى من أغسطس ٩٧٢ م) إلى مدينة سبتة ، كما أمر الحكم المستنصر قائد البحر عبد الرحمن بن محمد بن رماحس بحشد الأسطول الأندلسى أمام السواحل المغربية ومن سبتة اتجه محمد بن القاسم إلى مدينة تطاون فألفاها خاليه ، ومنها تقدم إلى مدينة طنجة ، وكان بداخلها الحسن بن كنون ، فولى هاربا فى خاصة من أصحابه ، فاستسلم أهل طنجة لمحمد بن القاسم بن طملس فمنحهم الأمان ، بينما سار الحسن بن كنون إلى جبل حصين يسمى جبل الريح ، تحصن فيه ، فتبعه الجند ، وانقضوا عليه من كل جانب فانهزم الحسن بن كنون ، وفر لا يلوى على شىء ، بينما مضى محمد ابن القاسم بعسكره إلى مدينة أصيلا ، ففتحها ودخلها[2] .

أعاد الحسن بن كنون تجميع فلوله وتنظيم صفوفه ، وزحف للقاء محمد ابن القاسم بن طملس ، والتقى الجيشان باحواز طنجة بموضع يعرف بفحص مهران[3] وقيل فحص بنى مصرخ[4] يوم الأحد الثالث والعشرين من ربيع

(١) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق الحجى ، ص ٧٩ — ٨١ .

(٢) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق الحجى ، ص ٧٩ — ٩١ ، ابن عذارى ، البيان المغرب ، حـ ٢ ، ص ٢٤٤ — ٢٤٦ ، مجهول ، مفاخر البربر ، ص ٨ ، ٩ .

(٣) ابن حيان ، المصدر السابق ، ص ٩٦ ، ابن عذارى ، المصدر السابق ، ص ٢٤٦ .

(٤) ابن أبى زرع ، روض القرطاس ، ص ٥٦ ، مجهول ، مفاخر البربر ، ص ٩ ، السلاوى ، الاستقصا ، حـ ١ ، ص ٢٠٠ .

الأول سنة ٣٦٢ هـ (الثلاثون من ديسمبر سنة ٩٧٢ م) ، فدارت الدائرة على الجيش الأندلسى ، وقتل قائده محمد ابن القاسم بن طملس وخمسمائة من الفرسان وألف من الرجاله وفر الباقون إلى مدينة سبتة ، فدخلوها ، وتحصنوا بداخلها ، وكتبوا إلى الخليفة الحكم المستنصر يستغيثون به[1] . وفى نفس الوقت بعث قائد البحر عبد الرحمن بن محمد بن رماحس والقواد المرافقين له ، بخطاب إلى الخليفة الحكم المستنصر يذكرون له فيه أن الحسن بن كنون عرض عليهم عقد السلم وطلب الأمان له ولانصاره والعودة لطاعة الخلافة الأموية وتبادل الرهائن بين الجانبين والاجتماع على قتال الفاطميين ، فرفض الحكم المستنصر ، ورد على قواده قائلا : « وكيف يذهب الآن هذا المذهب ، وهو فى طغيانه مستمر وفى دينه مستبصر ولكم فى كل أيامه محارب ! هذا هو الضلال والمحال عين المحال وسبب الخبال ، وقد رأى أمير المؤمنين تأمين جميع الناس لديه غيره ، وغير من أصر أصراره ، وتمادى تماديه إلى أن يحكم الله عليه ، ويفتح فيه ، وهو خير الفاتحين لا شريك له ، فلا يتعرض أحدكم لمقاوله أحد ممن يأتى عنه ، فانظروا فى أمركم وجدّوا فى تثقيف ماله قدمتم نظراً يدل على اجتماع نفوسكم وتآلف بصائركم وتضافر أيديكم ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم والله المستعان لا رب سواه »[2] .

استدعى الخليفة الحكم المستنصر قائده غالب بن عبد الرحمن الناصرى لقتال الحسن بن كنون ، فوصل قرطبة فى أواخر جمادى الآخرة سنة ٣٦٢ هـ (أبريل سنة ٩٧٣ م) ونزل بفحص السرادق انتظاراً لحشد الجيوش الأندلسية ، ثم تقدم إلى مدينة الزهراء فى احتفال كبير للقاء الخليفة الحكم

(١) ابن حيان ، المصدر السابق ، ص ٩٦ ، ابن عذارى ، البيان المغرب ، حـ ٢ ، ص ٢٤٦ ، ابن أبى زرع ، روض القرطاس ، ص ٥٦ ، مؤلف مجهول ، مفاخر البربر ، ص ٩ ، السلاوى ، الاستقصا ، حـ ١ ، ص ٢٠٠ ، عنان ، دولة الاسلام ، ق ٢ ، ص ٤٩٥ .

(٢) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق الحجى . ص ٩٧ ، ٩٨

المستنصر ، فأعطاه الخليفة أموالاً وعدداً كثيرة وجيوشاً وافرة[1] . وامره بقتال الأدارسة واستنزالهم من معاقلهم ، وقال له عند وداعه : « يا غالب سر مسير من لا أذن له فى الرجوع إلا حياً منصوراً وميتاً معذوراً ، ولا تشح بالمال وأبسط يدك به يتبعك الناس »[2] . وفى أوائل شهر شعبان سنة ٣٦٢ هـ (مايو سنة ٩٧٣ م) خرج القائد قاسم بن محمد بن قاسم بن طملس إلى الجزيرة الخضراء بفرقة من الجند مدداً لغالب الناصرى ، كما أرسل الحكم المستنصر الأموال الوفيرة لتوزيعها على قواده وجنده بمناسبة قرب حلول شهر رمضان المبارك . كما أرسل الحكم المستنصر لغالب الناصرى عشرة آلاف دينار لتوزيعها على زعماء القبائل الخارجين عن طاعة الحسن بن كنون : « استئلافا لهم واستصفاء لبصائرهم » فضلاً عن فاخر الثياب والسيوف المحلاه للخلع عليهم[3] . وفى نفس الوقت ورد كتاب من غالب الناصرى إلى الخليفة الحكم المستنصر يذكر فيه أنه ورد عليه بالجزيرة الخضراء كتاب عبد الكريم بن يحيى ومحمد بن يحيى الصنهاجى صاحبى مدينة فاس ، وكتاب من اسماعيل ابن البورى ويحيى بن البورى وغيرهم من وجوه أهل المغرب مؤكدين ولاءهم وطاعتهم للخلافة الأموية ، وأنه اجابهم بقبول الولاء والطاعة ، فرد عليه الحكم المستنصر : « باحماد رأيه وحسن موقعه من سلطانه وابلاغه بالازدياد منه » . كما أخبره الخليفة بموافقته على ارسال محمد بن حسين التميمى المعروف بالطبنى إليه ليستعين به لسابق خبرته بأحوال بلاد المغرب ، وكان غالب الناصرى قد كتب إليه برغبته فى استصحابه له ، وقال له الخليفة : « وأن أمير المؤمنين عهد بتوجيه محمد بن حسين الطبنى اليك على ما رغبت فيه ، فقد وقع اختيارك منه على خيار وثقة فى جميع أحواله ، مع نفاذ دربته وصدق ممارسته لما يرمى إليه ،

(١) ابن حيان ، المصدر السابق ، ص ١٠٢ .
(٢) ابن أبى زرع ، الروض القرطاس ، ص ٥٧ ، السلاوى ، الاستقصا ، جـ ١ ، ص ٢٠٠ .
(٣) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق الحجى ، ص ١٠٨ ، وأنظر أيضا : ابن عذارى ، البيان المغرب ، جـ ٢ ، ص ٢٤٧ .

ولن يألوك عونا وتزيينا ان شاء الله »[1] . ثم استحضر الخليفة الحكم المستنصر محمد بن حسين الطبنى وأمره بالخروج إلى العدوة واستصحاب الوزير القائد غالب الناصرى : « والتصرف فى شئونه ومؤازرته فى تدبيره »[2] .

فلما استكمل غالب الناصرى حشوده ، أبحر من الجزيرة الخضراء يوم الأحد الحادى عشر من رمضان سنة ٣٦٢ هـ (الخامس عشر من يونيو سنة ٩٧٣ م) إلى ميناء طنجة فلما أقترب منها ، دفعته الرياح إلى مرسى بطنة المعروف بمرسى قباله على مسافة تبعد نحو أربعة كيلو مترات غربى الجزيرة الخضراء ، فأرسى هناك مضطرا عدة أيام ، ثم اعاد الابحار ، ونزل بمرسى اليم المعروف بباب القصر على مقربة من طنجة يوم الاثنين الثانى والعشرين من رمضان سنة ٣٦٢ هـ (السادس والعشرين من يونيو سنة ٩٧٣ م) ثم ترك غالب الناصرى طنجة متجهاً صوب الحسن بن كنون بمحلة جرماية فوصلها يوم الأربعاء الخامس من شوال سنة ٣٦٢ هـ (التاسع من يوليو سنة ٩٧٣ م) ودخلها ، بينما فر الحسن بن كنون إلى التحصن بمرتفعات جبل الكرم[3] . وفى نفس الوقت تحرك قائد البحر عبد الرحمن بن محمد بن رماحس بأسطوله إلى أصيلا ليكون على مقربة من غالب الناصرى ، كذلك أرسل الخليفة المستنصر إلى غالب بالقبة الحمراء الفخمة البديعة « التى أمر باتخاذها له على حدّه ووصفه كيما يرفعه وسط محلته ويكون نزوله وقعوده فيها اسماءً لقدره ورغماً لقلب عدوه ، وكانت غريبة الابتداع عجيبة الاختراع لها منظر رائق ومرأى فائق »[4] .

(١) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق الحجى ، ص ١٠٨ . ١٠٩ .
(٢) ابن حيان ، المصدر السابق ، ص ١٠٩
(٣) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق الحجى ، ص ١١٥ ، ١١٦ .
(٤) ابن حيان ، المصدر السابق ، ص ١١٦

ثم أرسل الخليفة الحكم المستنصر محمد بن أبى عامر[١] إلى العدوة باحمال من المالى والحلى والخلع لتوزيعها على أكابر البربر الذين يمكن استمالتهم إلى جانب الخلافة الأموية ، وأصدر الحكم المستنصر فى نفس الوقت مرسومه بتعيين محمد ابن أبى عامر قاضيا لقضاة العدوة إلى جانب ما يتقلده من خطتى الشرطة

(١) هو محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عامر بن أبى عامر بن الوليد بن يزيد بن عبد الملك المعافرى ، ينتهى إلى قبيلة معافر اليمنية العربية وكانت أمه من بنى تميم وهى بريهة بنت يحيى بن زكريا التميمى المعروف بابن برطال . وكان أول من دخل الأندلس من أسلافه جده عبد الملك مؤسس الأسرة الذى رافق طارق بن زياد فى حملته ، وكان له فى فتح الأندلس أثر ظاهر إذ أفتتح مدينة قرطاجنة . ثم استقر فى الجزيرة الخضراء فى قرية من أعمالها تسمى طرش . وقد حظى من هذه الأسرة عدد لدى امراء قرطبة منهم أبو عامر محمد بن الوليد فى عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط وساد بعده ولده عامر وتقدم عند الأمراء وولى كثيرا من الأعمال الهامة فى الدولة ، وقد نقش الأمير محمد بن عبد الرحمن السكة ورقّم الاعلام باسمه تنويهاً بعلو شأنه ورفعة مقامه . أما والده المنصور عبد الله المكنى بأبى حفص ، فكان من أهل الدين والزهد فى الدنيا والعفو عن السلطان ، ابتعد عن زخرفها ولم يسع وراء ملذاتها ، سمع الكثير من الحديث وأدى فريضة الحج ، ومات فى عودته من الحجاز بمدينة طرابلس الغرب فى أواخر عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر .

وقد ولد محمد بن أبى عامر سنة ٣٢٧ هـ (٩٣٩ م) ونشأ فى مقاطعة الجزيرة الخضراء فى قرية طرش موطن عشيرته ومسكن أجداده وهى من أطيب بلاد الأندلس أرضا وأصلحها هواء ، ولم تذكر المصادر التاريخية شيئا عن طفولة محمد بن أبى عامر رغم الشهرة التى اكتسبها هذا الرجل فيما بعد ، والدور الكبير الذى لعبه فى تاريخ مسلمى الأندلس .

والمعروف أنه ورد قرطبة عند مطلع شبابه لطلب العلم والأدب ، ولكن سرعان ما داخله الطموح والتطلع إلى السلطان ، واتصل بالسيدة صبح البشكنسية ، فنصبته لخدمتها وخدمة ابنها عبد الرحمن فلما توفى عبد الرحمن بقى محمد بن أبى عامر فى خدمتها . وكانت قد ولدت هشاما فاختارته لادارة املاك هشام سنة ٣٥٩ هـ (٩٧٠ م) وكان قبل ذلك بقليل قد تم اختياره للاشراف على دار السكة بقرطبة فى شوال ٣٥٦ (٩٦٧ م) ، ثم قدم إلى خطة المواريث فى المحرم سنة ٣٥٨ هـ (٩٦٨ م) . ثم تدرج فى الوظائف الرسمية إلى أن شغل منصب الحجابة فى عصر الخليفة هشام المؤيد .

راجع : ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق الحجى ، ص ١٢٣ ، ابن حزم، جمهرة انساب العرب ، ص ٤١٩ ، ابن بسام ، الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة ، ق ٤ ، المجلد الأول ، ص ٥٦ ، ابن الآبار ، الحلة السيراء ، حـ ٢ ، ص ٢٦٨ ، ٢٧٥ ، ابن عذارى ، البيان المغرب ، حـ ٢ ، ص ٢٥٧ ، ٣٨٢ ، ٣٨٣ ، ابن الخطيب ، الاحاطة فى أخبار غرناطة ، حـ ٢ ، ص ١٠٢ .

الوسطى والعليا والمواريث وقضاء كورة اشبيلية[١] . كما أرسل الحكم المستنصر إلى محمد بن أبى عامر وهو بطنجة مالا واسعا لينفقه بطنجة وأصيلا ، وكتب إليه : « وما يشك أمير المؤمنين فى مناصحتك واجتهادك ، وشكرك للنعمة بك والمشتملة عليك والله المستعان »[٢] .

وفى يوم الخميس الثالث عشر من شوال سنة ٣٦٢ هـ (السابع عشر من يوليو سنة ٩٧٣ م) تقدم غالب الناصرى للقاء الحسن بن كنون واتباعه . وكان ابن كنون قد حصن جبل مهران وجعل عليه ابنه وابن عمه ، بينما ضبط جبل الكرم بنفسه لمنع الجيش الأموى من السيطرة على نهر المصارة الواقع بين جبلى مهران والكرم ، واندلع القتال بين الطرفين ، وقتل الكثير من اتباع الحسن بن كنون ، بينما لاذت فلو له بجبل الكرم ، وفى أثناء ذلك تلقى غالب الناصرى رسالة من الحكم المستنصر رداً على كتاب الفتح الذى أرسله غالب إليه ، جاء فيها « يحمد مقامه ويشكر فعله ويستتب صبره وجده ، ويعرّف أن أمير المؤمنين جادّ فى حرب الفاسق حسن ومحاكمته إلى الله ما أمتدت به حياة حتى يحكم الله بينهما بعدله »[٣] . ثم أمر الحكم المستنصر بارسال الأخوة التجيبيين يوسف وهاشم وهذيل بنى محمد بن هاشم التجيبى وأخوة العاصى ابن حكم بنى عمهم ، ومائة غلام من الرماه وطائفة من الفرسان مددا لغالب الناصرى[٤] . ثم ورد على الخليفة الحكم المستنصر كتاب آخر من غالب الناصرى يتضمن وصفا للقتال الذى دار بينه وبين الحسن بن كنون ، وكان له فيه الظهور عليه ، فقتل فيه من حماته عددا كثيرا ، ومن خاصته عشرين رجلا[٥] .

(١) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق الحجى ، ص ١٢٣ .
(٢) ابن حيان ، المصدر السابق ، ص ١٢٣ .
(٣) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق الحجى ، ص ١٢٥ .
(٤) ابن حيان ، المصدر السابق ، نفس الصفحة .
(٥) ابن حيان ، نفس المصدر ، نفس الصفحة .

وفى يوم الخميس الخامس من ذى القعدة سنة ٣٦٢ هـ (السابع من ذى القعدة سنة ٩٧٣ م) أحضر الخليفة الحكم المستنصر الوزير يحيى بن محمد ابن‌هاشم التجيبى وتحدث معه برغبته فى انفاذه إلى العدوة مددا لغالب الناصرى ، فغادر يحيى التجيبى قرطبة فى عسكر ضخم حيث لحق بعسكر غالب الناصرى وقد أرسل الخليفة الحكم المستنصر لغالب كتابا يخبره بانفاذ يحيى التجيبى إليه جاء فيه : « وأن العهد عند الوزير القائد يحيى بن محمد مقرر بالخفوف اليك والبدار نحوك ، متى ورد كتابك فى ليل أو نهار وان يتصرف كيف رأيت تصريفه فهو مدد لك وعون على محاولتك ، فانظر فى جميع ما بين يديك ومن يحويه عسكرك نظر من أفرده أمير المؤمنين ببعثه وقلّده ما بين يديه »[1] . كما أرسل غالب الناصرى من محلته بالمصارة للخليفة الحكم المستنصر كتابا يذكر فيه اعلان بنى ادريس الحسينين أقارب الحسن بن كنون الطاعة للأمويين ويبدى تخوفه من عدم تمكنه من توفير المال والطعام لكثرة من وفد عليه من الحسينين وبنى خزر ، فرد عليه الحكم المستنصر : « وقد كفاك الله الاشتغال بالتفكير فى مال أو طعام ، فموادها موصوله بك متلاحقة لديك ، حتى يفتح الله فى الظالم القاطع بعدله ولو أتى ذلك على بيوت الأموال المترعة وأهراء الأندلس المغتصة ، فلو لم يبق منها غير ما فى الأهواء الخاصة بقرطبة لاحتمل اليك جميع ما فيها » . بل أن الخليفة الحكم المستنصر عرض على غالب الناصرى ان ينتقل بنفسه إلى الجزيرة الخضراء ليكون على مقربة من مجريات الأحداث فى المغرب[2] . كما أرفق الخليفة الحكم المستنصر بكتابه هذا كشفا باسماء كبار رجال الحسينيين وغيرهم من وجوه البربر المنحازين لطاعة الأمويين وبيان مفصل بالأموال والهدايا المرسلة لكل واحد منهم[3] .

سار غالب الناصرى إلى حصن الكرم ، وكان الحسن بن كنون قد تحصن به ، ولما أدرك غالب استحالة الاستيلاء عليه لجأ إلى استماله أهل الحصن وكانوا

(١) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق الحجى ، ص ١٢٩ — ١٣٠ .
(٢) ابن حيان ، المصدر السابق ، ص ١٣٠ — ١٣١ .
(٣) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق الحجى ، ص ١٣١ .

من كتامة ، وأرسل إليهم من نخبة رجاله خمسمائة فارس ومثلهم من الرجالة بالبنود والطبول والسلاح وأمرهم بمهاجمة الحصن من مكان حدده لهم ، ثم تحرك غالب ببقية جيشه وحاصر الحصن من مكان آخر ، فأحاط الكتاميون بالحصن من جهة ، وأحاط غالب الناصرى به من جهة أخرى ، وشددا حصارهما له ، فلم يجد الحسن بن كنون أمامه سوى الفرار إلى معقله بحصن الحجر[1] ، ودخل غالب حصن الكرم يوم الخميس التاسع عشر من ذى القعدة سنة ٣٦٢ هـ (الحادى والعشرين من أغسطس سنة ٩٧٣ م) فاستولى على كل ما تركه الحسن بن كنون من الأمتعة والأقوات والأطعمة والأسلحة وغيرها ، كما أطلق سراح الكثير من وجوه قبائل البربر كان ابن كنون قد ارتهنهم عنده وأوثقهم فى الحديد ، كذلك ضم إلى صفوفه الكثيرين من اتباع ابن كنون الذين سارعوا باعلان الطاعة والولاء للأمويين ، ثم ترك على الحصن ألف فارس وخمسمائة من الرجالة لضبطه وحمايته ، ثم عاد إلى محلته بالمصارة[2] . ثم أرسل غالب إلى الخليفة الحكم المستنصر كتاب تهنئة بالفتح ، فرد عليه الخليفة بخطاب يشكر فعله ويحمد مقامه ويحذره من اقتراب فصل الشتاء بقوله : « وليس يخفى عليك أن الشتاء بين يديك والبحر دونك وربما تعذر ركوبه ، فاجعل الطعام ذخيرتك وحفظه تجارتك »[3] . كذلك كتب إليه الخليفة بأنه سيرسل مبلغ مليون دينار مع أحد خزان بيت المال إلى مدينة ستبة ليسهل على غالب طلب ما يحتاج إليه من أموال ، ومن الأشياء

(١) حصن الحجر أو قلعة النسر أو حجر النسر أو مدينة الحجر ، هى الحصن والملجأ الأخير الذى اعتصم به الا دراسة فى شمال المغرب . بناها ابراهيم بن محمد بن القاسم بن ادريس . وقد وصف الادريسى هذا الحصن بقوله : « وكانت مدينة محدثة لآل أدريس ، وهى على جبل شامخ الذرى ، حصينة منيعة ، لايصل إليها من طريق واحد ، والطريق صعب المجاز يسلكه الرجل بعد الرجل ، وهى حصينة كثيرة الخيرات وماؤها فيها ، ولها بساتين وعمارات » . وهذه المدينة اندثرت الآن . ويجمع المؤرخون على أنها فى شمال المغرب .
راجع : البكرى ، المغرب فى ذكر بلاد افريقية والمغرب ، ص ١١٤ ، ١٢٦ ، ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ، القسم الخاص بالمغرب ، هامش (٢) ص ٢٠٣ ، ٢٠٤ .
(٢) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق الحجى ، ص ١٣٤ — ١٣٥ .
(٣) ابن حيان ، المصدر السابق ، ص ١٣٥ .

الطريقة التى طلبها الخليفة من غالب الناصرى أن يقوم الجند الأمويين بزراعة وحرث الأراضى التى فى حوزتهم طالما أن ذلك لن يسبب خطرا أو تضييقا لأهل البلاد الأصليين ، كذلك طلب الخليفة من غالب الاهتمام بالبريد واقامة محطات له فى طنجة وأصيلا وغيرهما ، وتوفير احتياجات البريد من العلوفة على الدواب ودفع رواتب القائمين والمشرفين على البريد لانتظام سرعة وصول الأخبار إلى الخليفة بقرطبة[1] .

ويسجل شعراء الأندلس افتتاح حصن الكرم بأشعار رائعة ، من ذلك قول الشاعر محمد بن شخيص :

لقد حلّ بأس الله بالكرم الذى ... غدا وهو فى حزب الضلال بلاقع
فلو حله غيلان نادى طلولـه ... «هل الأزمن اللائى مضين رواجع»
وما حجـر النسـر المنيع بزعمه ... منيعُ وهل حصن من الله مانع
فلو طار فوق الأرض أو غار تحتها ... لما خال أن المنتأى عنك واسع
وما يضع الأدبار من أنت رافـع ... ولا يرفع الأقبـال من أنت واضع
وقد علم الاسـلام ما أنت منفق ... وفى نصر من تسعى وعمن تدافع
جمعت بما فرقـت شـمل جميعنا ... فأنت بتفريق الدخائر جامع[2]

وفى يوم الجمعة الثالث من المحرم سنة ٣٦٣ هـ (الرابع من أكتوبر سنة ٩٧٣ م) انتهز أهل مدينة البصرة[3] فرصة خروج محمد بن حنون المنتزى فيها لبعض شؤونه وترك عليها خاله محمد بن عبد السلام : « الذى كان ظهيرا له

(١) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق الحجى ، ص ١٣٥ ــ ١٣٦ .
(٢) ابن حيان ، المصدر السابق ، ص ١٣٧ .
(٣) مدينة البصرة مدينة أثرية مندرسة ، أسسها الأدارسة فى القرن الثالث الهجرى وصارت لها شهرة كبيرة فى الازدهار والعمران حتى القرن الرابع الهجرى ، ثم خربت بعد ذلك . وقد أختلف المؤرخون والجغرافيون حول تحديد مكانها بالضبط ، فقالوا أنها كانت بين طنجة وفاس وأنها كانت تعرف ببصره الكتان لاشتهارها بتجارة الكتان وتعرف أيضا بالحمراء لأنها حمراء التربة .
(راجع : البكرى ، المغرب فى ذكر بلاد افريقية والمغرب ، ص ١١٠ ــ ١١١ ، ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ، هامش (١) ص ١٦٢) .

ومدبرا لشأنه لا يقدم أمرا ولا يؤخره إلا عن رأيه ومشاورته وكان مشنوءا إلى أهل البلد » . ولذا دبروا عليه وقتلوه ، واحتزوا رأسه وأرسلوها إلى غالب الناصرى يستصرخون به ويدعونه للمسير إلى مدينتهم . فلبى غالب صريخهم ودعوتهم وسار إليهم يوم السبت الرابع من المحرم من محلته بالمصارة ، وأبقى الوزير القائد يحيى بن محمد بن هاشم التجيبى فى حصن الكرم للاشراف على تجديد دفاعاته ، ودخل غالب الناصرى مدينة البصرة يوم الأحد الخامس من المحرم سنة ٣٦٣ هـ (السادس من أكتوبر سنة ٩٧٣ م)[1] .

أرسل غالب الناصرى كتاب تهنئة بفتح مدينة البصرة للخليفة الحكم المستنصر ، كما أرفق بكتابه هذا كتاب أهل البصرة الذى سبق وأن أرسلوه إليه لاستدعائه لدخول مدينتهم . وأنفذ بذلك قنداً فتاه الذى حمل معه أيضا رأس محمد بن عبد السلام ، فوصل قند فتى غالب الناصرى إلى قرطبة يوم الأربعاء الثامن من المحرم سنة ٣٦٣ هـ (التاسع من أكتوبر سنة ٩٧٣ م) فنزل بمنية الناعورة[2] انتظارا للمثول بين يدى الخليفة الحكم المستنصر ، وفى صباح الخميس التاسع من المحرم ٣٦٣ هـ (العاشر من أكتوبر ٩٧٣ م) أمر الخليفة الحكم المستنصر صاحب خيله بالركوب إلى منية الناعورة ، ورفع رأس محمد بن عبد السلام فى قناة سامية والبروز به من هناك إلى باب السدة وهو الباب الرئيسى من أبواب قصر الخلافة بقرطبة ، فخرج أهل قرطبة لرؤية هذا الموكب

(١) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق الحجى ، ص ١٤١ ــ ١٤٢ .
(٢) كانت منية الناعورة فى بداية أمرها أرضاً تقع على شاطىء الوادى الكبير ، ثم اشتراها الأمير عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الأوسط من صاحبها خليل البيطار عام ٢٥٣ هـ (٨٦٧ م) ، فأبدع بناءها ، واتخذها لسكناه . وفى عصر عبد الرحمن الناصر شملها بعنايته وعنى بتجميلها وزخرفتها وجعلها مقرا لاقامته قبل أن يؤسس مدينة الزهراء .
عن منية الناعورة راجع :
ابن حيان ، المقتبس ، نشر ملشور انطونية ، ص ٣٨ ، وأنظر المقتبس ، نشر شالميتا ، ص ٧٥ ، ٢١٩ ، ٢٥٠ ، ٤٣١ ، ٤٣٢ ، ابن عذارى ، البيان المغرب ، حـ ٢ ، ص ١٩٦ ، ١٩٧ ، ٢٠١ ، ابن خلدون ، العبر ، حـ ٤ ، ص ٣١٢ ، المقرى ، نفح الطيب ، حـ ٢ ، ص ١١٢ ، ازهار الرياض ، حـ ٢ . ص ٢٦٦ ، ٢٦٧ ، جومث مورينو ، الفن الاسلامى فى أسبانيا ، ص ٨٥ ، سالم ، قرطبة ، حـ ١ ، ص ٢٠٤ ، ٢٠٥ .

Levi Provençal, Histoire, Vol, III, P 379.

الكبير إلى أن انتهى إلى باب السدة ، فأمر صاحب الشرطة محمد بن جعفر ابن عثمان المصحفى بنصبه فوق خشبة عالية على الرصيف ازاء باب السدة ، ثم جلس الخليفة وأوصل إلى نفسه الوزراء وكبار رجالات الدولة ثم استدعى قند فتى غالب الناصرى ، فأدناه إليه ، واستفسر منه عن أحوال الجند . فأحسن الجواب ، فسر الخليفة ، وأمر له بصلة مائة دينار وكسوة وسيف مذهب وفرس جواد وأمره بالعودة إلى مولاه غالب الناصرى[1] . وكان محمد ابن حنون المنتزى بمدينة البصرة قد ترك بها زوجه ابنة حسن بن كنون ، فأرسل غالب الناصرى إلى الخليفة الحكم المستنصر يستطلع رأيه فى مصيرها « فعهد إليه أمير المؤمنين بسدل الستر عليها واكرامها ومن معها من نسوتها والحاقها واياهن بالملحد والدها حسن بمعقله الحجر ، ففعل غالب ذلك وحملها على فرس رائع بسرج ولجام معرقين مفرغين بعد أن كسيت كسوة سنية وأفيض ذلك فى خدمها ونسائها وأركبن معها فاحتملت معهن إلى أبيها الحسن بالحجر بأفضل حال »[2] . وقد أرسل غالب الناصرى ثعبان بن أحمد البربرى قاتل محمد بن عبد السلام خال محمد بن حنون فى وجوه من رجال أهل البصرة إلى قرطبة ، لرغبتهم فى الاشتراك فى أعمال الجهاد ضد القوى المسيحية فى الأندلس وقد أثنى غالب على بأسه ، وذكر للخليفة المستنصر أنه من الأبطال المشاهير لا يعرف له فى المغرب نظير ، فأكرمه الحكم المستنصر ووسع عليه ، وقد أبدى ثعبان بن أحمد البربرى من الشجاعة والاقدام والبأس فى الجهاد ما جعله موضع احترام وتقدير الخلافة الأموية[3] .

سار غالب الناصرى من مدينة البصرة بعد أن دعم دفاعاتها وشحنها بالرجال ، وقدم عليها عبد الرحمن بن محمد بن الليث ، وأتجه إلى قبيلة رهونة

---

(١) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق الحجى ، ص ١٤٢ ــ ١٤٣ .

(٢) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق الحجى ، ص ١٤٣ ــ ١٤٤ ، ابن عذارى البيان المغرب ، حـ ٢ ، ص ٢٤٨ .

(٣) ابن حيان ، المصدر السابق ، ص ١٤٤

المتحالفة مع الحسن بن كنون ، فلما رأى أهلها مسير العسكر الأندلسى نحوهم ، أعلنوا الطاعة للخلافة الأموية ، فبذل لهم غالب الناصرى الأمان[1] .

ثم سار غالب الناصرى إلى الجبل المعروف بجبل العيون المتصل بحجر النسر ، ووضع عليه ألف من الرجالة للتضييق على الحسن بن كنون ، وشدد غالب الحصار عليه ، فخرج عنه الكثير من المؤيدين والأنصار حتى بلغوا سبعمائة رجل فى يوم واحد كان آخرهم ولده المسمى بالمنصور مع أخته وأمها ، لاذوا بالأمان مؤثرين طاعة الأمويين ، بل أن المشرف على سجن الحسن بن كنون تواطأ مع من كان فى سجنه من الرهائن الذين كان ارتهنهم من بعض القبائل ، فأطلق سراحهم ، وفر بنفسه معهم إلى غالب الناصرى فضمهم إليه وأحسن اليهم ، فاضطر الحسن بن كنون إلى ارسال ابنه على بن الحسن إلى غالب الناصرى لطلب الأمان لنفسه وأهله وماله ورجاله ، فأجابه غالب إلى ذلك وعاهده عليه ، ودخل غالب حجر النسر يوم الجمعة الثانى والعشرين من جمادى الآخرة سنة ٣٦٣ هـ (العشرين من مارس سنة ٩٧٤ م) . وفى يوم الجمعة التالى الموافق للتاسع والعشرين من جمادى الآخرة سنة ٣٦٣ هـ (٢٧ مارس سنة ٩٧٤ م) شهد الخليفة الحكم المستنصر صلاة الجمعة بالمسجد الجامع بقرطبة ، وجلس بعد الصلاة فى ساباط المقصورة كعادته وأوصل إلى نفسه الوزراء وكبار رجالات الدولة وأعلن أمامهم خضوع الحسن بن كنون وقرأ عليهم كتاب غالب الناصرى يهنئه بهذا النصر العظيم ، وأن الخطبة قد قامت لأمير المؤمنين فى قلعة حجر النسر : « فاستبشر الوزراء وبشروا وهنوا وغبطوا وأعلنوا بشكر الله تعالى فأطالوا »[2] . وقد صدر عن أمر الخليفة المستنصر كتاب تلى على سائر منابر المساجد بالأندلس ينوه فيه بالانتصارات التى أحرزها

---

(١) ابن حيان ، نفسه ، ص ١٤٤ .

(٢) راجع هذه التفاصيل فى : ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق الحجى ، ص ١٤٤ ــ ١٥١ ، ابن عذارى ، البيان المغرب ، حـ ٢ ، ص ٢٤٨ ، ابن أبى زرع ، روض القرطاس ، ص ٥٧ ، السلاوى ، الاستقصا ، حـ ١ ، ص ٢٠١ .

Levi provençal, Histoire. Vol, II, P. 193 - 194.

على الحسن بن كنون وارغامه وأهله على قبول طاعته مع التنويه بفضل قائده غالب الناصرى[١] .

وفى أواخر ذى الحجة سنة ٣٦٣ هـ (سبتمبر سنة ٩٧٤ م) عبر غالب الناصرى المجاز إلى الجزيرة الخضراء ، تاركا شئون المغرب للقائد يحيى بن محمد بن هاشم التجيبى تنفيذا لرغبة الخليفة الحكم المستنصر وكان فى ركب غالب ، الحسن بن كنون وسائر أهله وشيعته من زعماء الادارسة . وأشرف غالب فى ركبه الحافل على قرطبة فى أوائل المحرم سنة ٣٦٤ هـ (سبتمبر سنة ٩٧٤ م) وأنزل الأشراف الحسنيون المرافقون له فى الدور التى أعدت لهم بقرطبة وأرباضها . وخرج الجند من مدينة الزهراء فى صبيحة يوم الخميس الخامس من المحرم سنة ٣٦٤ هـ (السادس والعشرين من سبتمبر ٩٧٤ م) لتلقى غالب الناصرى والمسير بين يديه ، وعلى رأسهم عدة من الفتيان ورؤساء الخدمة ، ودخل غالب قرطبة فى عسكره ، وفى ركبه الأشراف الأدارسة ونزل بمنية الناعورة ويصف لنا المؤرخ ابن حيان فى تفصيل شاف موكب غالب الناصرى يوم السبت السابع من المحرم سنة ٣٦٤ هـ (الثامن والعشرين من سبتمبر ٩٧٤ م) وهو فى طريقه للقاء الخليفة الحكم المستنصر بقصر الزهراء ، ومن كان يحف به أو يتبعه من الفرسان المدرعين وأهل الخدمة والصقالبة والعبيد والرماة وغيرهم من أصحاب الطبول والبنود والرايات ودخل غالب فى موكبه الفخم مدينة الزهراء من باب السدة ، ونفد إلى القصر ، بينما أنزل الأدارسة الذين معه فى المجالس القبلية بدار الجند . وكان الخليفة الحكم المستنصر قد جلس لاستقباله فى المجلس الشرقى المشرف على الرياض ، وقد حف به الأخوة ، وجلس من بعدهم الوزراء وأصحاب الشرطة والمدينة والقضاة والفقهاء وسائر أهل الخدمة ، كل فى مكانه المعهود . واستقبل الخليفة زعماء الأدارسة وشكر طاعتهم ، وعفا عن الحسن بن كنون ووعدهم بالاحسان وأجزل لهم الأرزاق والصلات[٢] .

(١) راجع : ابن حيان ، المصدر السابق ، ص ١٧٨ — ١٨٢ .

(٢) راجع التفاصيل فى : المقتبس ، تحقيق الحجى ، ص ١٩٤ — ٢٠٠

وفى الثانى من شعبان سنة ٣٦٤ هـ (١٧ أبريل سنة ٩٧٥ م) هاجم جيش مشترك من الجلالقة والبشكنس والقشتاليين حصن غرماج الحصين الواقع على نهر دويرة على مقربة من مدينة سالم ، ونشب بين هذا الجيش والحامية الاسلامية المرابطة بحصن غرماج قتال عنيف . كان النصر فيه للمسلمين ، ولكن النصارى سارعوا إلى طلب الامدادات من جميع القوى المسيحية منتهزين انشغال الجيوش الاندلسية بحروبها فى المغرب . وقد شدد النصارى حصارهم لحصن غرماج[١] . فلما وصلت هذه الأخبار إلى الخليفة الحكم المستنصر ، أسرع بتجريد عساكر ضخمة وقرر اسناد القيادة لـ : « شيخ مواليه وكبير قواده وسيف انتقامه الوزير القائد الأعلى أبا تمام غالب بن عبد الرحمن ، شيخ الحروب وفارس الخطوب ومهون الكروب ومذلل القروم » . عقب عودته ظافرا من حروبه ضد الحسن بن كنون ، وكان الخليفة الحكم المستنصر قد ميز غالب الناصرى وجعل له الصدارة على بقية وزراءه : « حتى لأنفذ عهده بتصدير فراشه ، الموضوع مكانه ببيت الوزراء فى قصره الذى هو معان العزة التى لها يسعى أهل المملكة ، فوق فرش الوزراء المرتبة فيه على المنازل المعهودة الترتيب لديهم فى طبقاتهم ، وتعليته فى القعود فوق جميعهم ، تشريفا له لم يسبق إلى مثله »[٢] .

وفى يوم الخميس السابع من شعبان سنة ٣٦٤ هـ (الثانى والعشرين من أبريل سنة ٩٧٥ م) استدعى الخليفة الحكم المستنصر غالب الناصرى إلى مجلسه بقصر الخلافة بقرطبة ، وأمره بالتأهب والاستعداد لقيادة جيوش الصائفة المتجهة إلى حصن غرماج ، ثم قام بتقليده سيفين من ذخائر سيوفه مذهبين . وفى يوم السبت التاسع من شعبان سنة ٣٦٤ هـ (الرابع والعشرين من أبريل سنة ٩٧٥ م) خرج غالب الناصرى من داره فى موكب فخم واحتفال كبير شهده أهل قرطبة ، وكان الخليفة وولى عهده الأمير هشام فى

(١) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق الحجى ، ص ٢١٨ — ٢١٩

Levi Provençal, Histoire, Vol, II, P. 183.

(٢) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق الحجى ، ص ٢١٩ .

وداعه ، كما أرسل الخليفة فى أثره احمال المال للانفاق على الصائفة[١] . كذلك أنفذ سهل الفتى الكبير إلى الثغر الأعلى مدداً لغالب الناصرى تنفيذا لرغبة غالب نفسه ، فخرج إليه فى جموع كبيرة[٢] ، كما استدعى ولى العهد الأمير هشام القائد عبد العزيز بن حكم التجيبى وأمره نيابة عن الخليفة باللحاق بغالب الناصرى[٣] .

واصل غالب الناصرى سيره إلى أن وصل إلى جنوبى حصن غرماج ، فوجد أن النصارى قد شددوا حصارهم له ، وأحاطوا به من كل جانب ، فتوقف عن اقتحام الحصار حتى تصل إليه الامدادات . وفى يوم السبت السابع من رمضان سنة ٣٦٤ هـ (الحادى والعشرين من مايو سنة ٩٧٥ م) حدثت مناوشات بين الطرفين على ضفتى نهر دويرة ، فاثخن غالب القتل فيهم ، وقتل ما يقرب من عشرين من كبار رجال الدين المسيحيين[٤] .

ولا شك أن الحصار المسيحى لحصن غرماج كان له أسوأ الأثر فى نفوس أهل قرطبة ، حيث كان حديث الناس فى مساجدهم ومحافلهم ، ومما يؤكد ذلك الحديث الذى وجهه أحد المسلمين لكبار رجال الدولة الذين شهدوا جنازة أحد كبار الزهاد فى قرطبة قائلا : « عباد الله أخلصوا الله دعاءكم وأرفعوا إليه أصواتكم بالنداء والابتهال فى حقن دماء أخوانكم المؤمنين وأوليائكم المسلمين أهل حصن غرماج الذين قد أحاط بهم جمع المشركين وأخذوا بمخنقهم ، واستطالوا عليهم بكثرتهم ، اللهم أهلك الكفرة ، وما ابتدعوا ، وأوهن كيدهم وما جمعوا ، اللهم فرق ملأهم بعزتك ، وبدد شملهم بعظمتك ، وأيد المسلمين عليهم بقدرتك ، وأنصرهم نصرا عزيزا ، وأفتح لهم فتحا مبينا » . فأمن الحاضرون واجهشوا بالبكاء وعجلوا بالضراعة والدعاء ، والابتهال والنداء[٥] . وفى يوم الاثنين الخامس عشر من شوال سنة ٣٦٤ هـ

(١) ابن حيان ، المصدر السابق ، ص ٢٢٠ .

(٢) ابن حيان ، نفسه ، ص ٢٢٣ .

(٣) ابن حيان ، نفسه ، ص ٢٢٥ ، ٢٢٦ .

(٤) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق الحجى ، ص ٢٢٦ — ٢٢٧ .

(٥) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق الحجى ، ص ٢٢٩ .

(٢٨ يونيه ٩٧٥ م) ، أحاط النصارى بحصن غرماج فى حشود ضخمة بلغت زهاء ستين ألفا ، محاولين اقتحامه ونشبت بينهم وبين الحامية الاسلامية معركة عنيفة انتهت بهزيمة النصارى ، فبادرت صفوفهم بالارتداد عن الحصن بعد أن فقدوا كثيرا من جندهم وعتادهم ، وطاردهم المسلمون فقتلوا منهم جموعا أخرى وأحرزوا غنائم كثيرة ، وبعث المسلمون إلى غالب الناصرى وهو مقترب منهم لنصرتهم بنبأ هذا الانتصار فأنفذه من فوره إلى الخليفة وسار إلى الحصن ونزل به . وكانت مدة الحصار المسيحى لحصن غرماج أربعة وسبعين يوما[١] . ثم خرج غالب الناصرى من حصن غرماج فى قواته ، فعاث فى أراضى قشتالة ، فانتسف زروعهم وخرب قراهم وقتل من ظفر به منهم . ولما كان غرسية فرنانديز صاحب قشتالة على مقربة من الجيش الاسلامى ، فقد سيّر قوة كبيرة لمدافعة المسلمين ، وقد حدث الصدام بين الطرفين يوم الخامس عشر من شوال سنة ٣٦٤ هـ (الثامن والعشرين من يونيه سنة ٩٧٥ م) ، وهُزم القشتاليون هزيمة قبيحة ، وقتل الكثير من أعلام رجالهم ومشاهير فرسانهم ، وقد أرسل غالب الناصرى للخليفة الحكم المستنصر كتاب تهنئة بهذا الانتصار ، فقرىء فى المسجدين الجامعين بقرطبة والزهراء يوم الجمعة الرابع من ذى القعدة سنة ٤٦٤ هـ (السادس عشر من يوليو سنة ٩٧٥ م)[٢] .

الصراع بين غالب الناصرى والمنصور بن أبى عامر :

كانت بين القائد غالب بن عبد الرحمن الناصرى والحاجب جعفر بن عثمان المصحفى[٣] عداوة ومنافسة ، وكان المصحفى يخشى غالبا ، كما كان غالب

(١) ابن حيان ، المصدر السابق ، ص ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، عنان ، دولة الاسلام ، ق ٢ ، ص ٥٠٢ .
Levi Provençal, Histoire, Vol, II, P. 183 - 184.

(٢) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق الحجى ، ص ٢٣٦ — ٢٣٧ .

Levi Provençal, Histoire, Vol, II, P. 184.

(٣) جعفر بن عثمان المصحفى من بربر بلنسية ، كان والده عثمان بن نصر أمؤدباً للأمير الحكم بن عبد الرحمن الناصر ، حتى توفى عام ٣٢٥ هـ (٩٣٦م) ، فلما توفى والده قربه الأمير الحكم إليه وعينه كاتبا له ، ثم ولاه الخليفة عبد الرحمن الناصر على كورة البيرة والمرية ، ثم عزله عن المرية التى =

يزدريه ويمقته ولا يراه أهلا للمنصب الرفيع الذى بات يشغله ، ويرى نفسه أولى وأحق به كذلك كان محمد بن أبى عامر يطمع هو الآخر فى الظفر بهذا المنصب وحدث أن تباطأ غالب الناصرى بعد وفاة الخليفة الحكم المستنصر فى مدافعة النصارى وقعد عن ردهم لما هاجموا الثغور ، فشكا المصحفى ذلك للوزراء فأشاروا عليه بملاطفته واستصلاحه[1] . ولكن محمد بن أبى عامر أغتنم هذه الفرصة ليضم غالبا إليه تمهيدا للتخلص من جعفر فتظاهر بالاخلاص له ، وبالغ فى التقرب إليه واكتساب ثقته ، وأخذ يعلى من مكانة غالب عند السيدة صبح البشكنسية[2] زوج الخليفة الحكم المستنصر وأم الخليفة هشام المؤيد

= تولاها القائد محمد بن رماحس ، وأقر جعفر بن عثمان على البيرة فقط ، ثم لم يلبث أن عُزل عنها سنة ٣٢٩ هـ (٩٤٠م) . وفى عام ٣٣٣ هـ (٩٤٤ م) ولاه الناصر قائداً على الجزائر الشرقية . فلما توفى الناصر وتولى ابنه الحكم المستنصر الخلافة استوزر جعفر بن عثمان وولاه كتابته الخاصة ، ثم ضم إليه الاشراف على الشرطة وخدمة ابنه الأمير هشام ، وظل جعفر أقرب الشخصيات ومحل ثقة الخليفة الحكم المستنصر إلى أن توفى فى سنة ٣٦٦ هـ (٩٧٦ م) فلعب دورا هاما فى الحفاظ على عرش الخلافة للأمير هشام المؤيد فولاه الخليفة هشام حجابته وأصبح من أهم الشخصيات فى بلاط قرطبة .

عن جعفر بن عثمان المصحفى راجع : ابن الفرضى ، تاريخ علماء الأندلس ، ق ١ ، ت رقم ٨٩٨ ص ٣٠٥ ، ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق شالميتا ، ص ٤٧ ، ابن بسام ، الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة ، ق ٤ ، المجلد الأول ، ص ٦٤ ، العذرى ، ترصيع الأخبار ، ص ٨١ ، ابن الآبار ، الحلة السيراء ، حـ ١ ، ص ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ابن عذارى ، البيان المغرب ، حـ ٢ ، ص ٢١٥ ، ٢٦٥ ، مجهول : جغرافية الأندلس ، ص ١٧٣ — ١٧٦ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ، ١٨٠ — ١٨٢ ، المقرى : نفح الطيب ، حـ ٤ ، ص ٨٨ .

Levi Provençal, Histoire, Vol, II, PP. 213 - 214.

(١) ابن بسام ، الذخيرة ، ق ٤ ، م ١ ، ص ٦٤ ، ابن خاقان ، مطمح الأنفس ومسرح التأنس ، ص ٤ — ٦ ، المقرى ، نفح الطيب ، حـ ٤ ، ص ٨٨ .

(٢) لسنا نعرف شيئا عن نشأة صبح البشكنسية وحياتها الأولى ، وكل ما تقدمه الينا الروايات الاسلامية فى ذلك أن صبحا كانت جارية بشكنسية ظهرت فى بلاط قرطبة فى أوائل عهد الخليفة الحكم المستنصر وكانت فتاه رائعة الحسن والجمال ، فشغف بها الحكم وأغدق عليها حبه وسماها بجعفر ، وقد ولدت للمستنصر ولدا سماه عبد الرحمن ، وكان مولده حادثا خطيرا نوهت به الشعراء والأدباء ولكنه مات طفلا ، فحزن عليه الحكم ايما حزن ، على أن القدر لم يلبث أن حباه مرة أخرى ، إذ ولدت صبح ولدا آخر سماه أبوه هشاما ، فكان ولى عهده الملقب بالمؤيد ، واستمرت صبح أيام الحكم المستنصر تتمتع فى البلاط والحكومة بنفوذ كبير ، وكان المستنصر يثق فى اخلاصها وحزمها

وصاحبة التأثير القوى على إبنها ، وتمكن من اقناعها هى وابنها ، وكذلك كبار رجالات القصر بضرورة تقريب غالب واسترضائه ، حتى نجح أخيرا فى استصدار مرسوم برفع غالب إلى منصب ذى الوزارتين وبأن يندب لقيادة جيش الثغر وأن يندب محمد بن أبى عامر لقيادة جيش الحضرة[1] .

وفى يوم عيد الفطر سنة ٣٦٦ هـ (٢٣ مايو سنة ٩٧٧ م) ، خرج محمد بن أبى عامر بالصائفة ، فاجتمع مع غالب الناصرى بمدينة مجريط[2] ، واتفقا على الايقاع بجعفر بن عثمان المصحفى ، واخترق الجيشان معا أراضى قشتالة ، وافتتحا حصن موله وأصابوا كثيرا من الغنائم والسبى . وعلى الرغم من أن غالبا

= ويستمع إلى رأيها فى معظم شئون الدولة ، وكانت كلمتها هى العليا فى تعيين الوزراء وكبار رجالات الدولة ، وتمكن محمد بن أبى عامر بفضلها من تقلد أرفع وظائف الدولة والقصر ولكنه سرعان ما تغير عليها ، فاستعانت بزيرى بن عطية المغراوى ، فصادر ابن أبى عامر أموالها ، وحجر عليها إلى أن توفيت فى ٢٩ ذى الحجة ٣٨٩ هـ (١١ ديسمبر ٩٩٩ م) .

راجع : ابن بسام ، الذخيرة ، ق ٤ ، م ١ ، ص ٧٠ ، ابن سعيد المغربى ، المغرب ، حـ ١ ، ص ١٩٦ ، ابن عذارى ، البيان المغرب ، حـ ٢ ، ص ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٥١ ، ٢٦٦ ، ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ، ق ٢ ، ص ٤٩ ، المقرى ، نفح الطيب ، حـ ٤ ، ص ٨٧ ، ٩١ ، ٩٢ ، عنان : دولة الاسلام ، ق ٢ ، ص ٥٠٢ ، ٥٠٣ ، ٥٢٠ ، ٥٢٢ .

(١) ابن عذارى ، البيان ، حـ ٢ ، ص ٢٦٥ ، المقرى ، نفح الطيب ، حـ ٤ ، ص ٨٨ .

Levi Provençal, Histoire, Vol, II, P. 213 - 214.

جيش الثغر أى الجيش المرابط على الحدود الشمالية . وكان فى العادة جيشا ضخما معدا أحسن اعداد ومدربا أكمل تدريب . وكانت كتلة هذا الجيش الرئيسى تقيم فى مدينة سالم قاعدة الثغر الأوسط . وإلى جانب هذا الجيش كان هناك جيش آخر يقيم فى الزهراء يسمى جيش الحضرة . وكانت قيادة جيش الحضرة للخليفة نفسه ، وهو ينيب عنه من يريده من قواده . فإذا خرج الخليفة للغزو جمع قيادتى جيش الثغر وجيش الحضرة .

(٢) مجريط (واسمها الآن مدريد Madrid) وهى عاصمة أسبانيا منذ عام ١٥٦٢ م . كانت حصنا له نصيب من الأهمية العسكرية والثقافية من أعمال طليطلة . وهى من انشاء الأمير محمد ابن عبدالرحمن الأوسط ، وقد وقعت فى أيدى النصارى سنة ٤٧٦ هـ (١٠٨٣ م) .

راجع : الأدريسى ، صفة المغرب ، ص ١٧٥ ، ١٨٨ ، ياقوت ، معجم البلدان ، حـ ٧ ، ص ٢٨٨ — ٢٨٩ — ٣٩٤ ، ابن سعيد ، المغرب ، حـ ٢ ، ص ٤٣ — ٤٤ ، الحميرى ، الروض المعطار ، ص ١٧٩ — ١٨٠ ، محمود مكى ، مدريد العربية ، دار الكتاب العربى للطباعة والنشر ، بدون تاريخ ، ص ١٩ وما بعدها .

كان صاحب الفضل فيما أحرزته تلك الصائفة من انتصارات ، إلا أنه تنازل عن حقه ونسب ما أحرزه من انتصارات لشجاعة وبسالة محمد بن أبى عامر . ولما انتهت الغزوة افترق القائدان ، وعاد غالب إلى ثغره بعد أن أبلغ فى مواطأة ابن أبى عامر على عدوه جعفر المصحفى ، وقال لابن أبى عامر عند وداعه : « سيظهر لك بهذا الفتح اسم عظيم ، وذكر جليل وسيشغلهم السرور به عن الخوض فيما تحدثه من قصته فاياك ان تخرج عن الدار (أى قصر الخلافة) حتى تعزل ابن جعفر عن المدينة وتتقلدها دونه »[١] .

خاطب غالب الناصرى الخليفة هشام المؤيد بحسن مناب محمد بن أبى عامر فى هذه الغزوة ، ونسب السعى والاجتهاد إليه ، وشكره وشد عضده عند الخليفة ، ووصلت هذه الرسالة قرطبة قبل عودة ابن أبى عامر ، ثم دخل قرطبة منصرفا بالسبى والغنائم فاستمال قلوب الخاصة والعامة ، وهان عليه أمر جعفر المصحفى ، وشرع فى التخلص منه ، فما كاد يصل إلى قرطبة حتى أمر الخليفة هشام بعزل محمد بن جعفر بن عثمان المصحفى عن ولاية المدينة وتقليدها لمحمد بن أبى عامر : « فخرج محمد نحو كرسيها فى هذا اليوم ، والخلع عليه ، ولا عند جعفر علم بذلك ، وكان محمد بن جعفر جالسا فى مجلسها فى ابهة ، إذ صعد ابن أبى عامر نحوه ، فولى محمد بن جعفر ناكصا على عقبة »[٢] . فأعاد محمد بن أبى عامر الأمن والأمان إلى قرطبة ، إذا كان أهلها يعانون من اضطراب الأمور واختلال الأمن وذيوع الفساد ، فأصدر ابن أبى عامر أوامر مشددة بقمع أهل الشر والفساد ، وطبق القانون على أقرب المقربين له ، فانقمع الشرفى أيامه ، واستخلف على المدينة ابن عمه عمرو بن عبد الله بن أبى عامر : « فسلك فى أهل الشر سبيله بل أربى عليه فى ذاك »[٣] .

(١) ابن بسام ، الذخيرة ، ق ٤ ، م ١ ، ص ٦٤ ، ابن عذارى ، البيان المغرب ، حـ ٢ ، ص ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، المقرى ، نفح الطيب ، حـ ٤ ، ص ٨٨ ، عنان ، دولة الاسلام ، ق ٢ ، ص ٥٢٨ .
Levi Provençal, Histoire, Vol, II, P. 214.

(٢) ابن بسام ، الذخيرة ، ق ٤ ، م ١ ، ص ٦٤ ، ابن عذارى ، البيان المغرب ، حـ ٢ ، ص ٢٦٦ .

(٣) ابن بسام ، الذخيرة ، ق ٤ ، م ١ ، ص ٦٤ ، ابن عذارى ، البيان المغرب ، حـ ٢ ، ص ٢٦٦ — ٢٦٧ .

أيقن جعفر بن عثمان المصحفى أن محمد بن أبى عامر يمهد الطريق — بتقربه من غالب الناصرى — للتخلص منه والوصول بمساعدة غالب إلى منصب الحجابة ، فلم يجد سوى وسيلة واحدة لانقاذ الموقف وهى المبادرة إلى التقرب من غالب الناصرى ، فكاتبه يستصلحه ، وخطب ابنته أسماء لابنه عثمان ، فتأثر غالب لطلبه ، ووافق على ذلك برغم ما كان بينهما من خلال وعداء ، وتمت كتابة العقد وحدد يوم الزفاف دون أن يعلم محمد بن أبى عامر بما حدث ، ولكن سرعان ما علم ، فكتب إلى غالب ينشده العهد ، ويخوفه الحيلة ، ويخطب ابنته أسماء لنفسه ، كما أغرى رجال القصر فكاتبوه وصرفوه عن نيته ، فنزل غالب على تلك الرغبة ، وعدل إلى مصاهرة ابن أبى عامر وتم العقد فى أوائل المحرم سنة ٣٦٧ هـ (أغسطس سنة ٩٧٨ م) فلما تم هذا العقد خرج محمد بن أبى عامر للغزو ، فدخل طليطلة غرة صفر سنة ٣٦٧ هـ (الثامن عشر من سبتمبر سنة ٩٧٨ م) ، فالتقى مع صهره غالب الناصرى ، وسار الاثنان فى قواتهما شمالا حيث اقتحما فى طريقهما بعض الحصون حتى وصلا إلى مدينة شلمنقة الواقعة جنوب غربى مملكة ليون ، فاقتحماها ، وعاثا فى أرباضها واستوليا على كثير من الغنائم والسبى ، وعاد محمد بن أبى عامر إلى قرطبة ، فسر الخليفة هشام المؤيد بصنيعه ورفعه إلى خطة الوزارتين أسوة بصهرة غالب ورفع راتبه إلى ثمانين دينارا شهريا وهو راتب الحجابة وقتئذ . وما كاد ابن أبى عامر يستقر فى قرطبة حتى أتخذت الاهبه لاتمام زفافه على أسماء ، فأحضرت إلى قصر الخلافة فى موكب ضخم ، وكانت من أجمل نساء عصرها وأوفرهن ثقافة ، وكانت قد تزوجت لأول مرة بالوزير ابن حدير على أيام الحكم المستنصر ثم طلقت منه . وزفت أسماء إلى محمد بن أبى عامر فى حفلات كانت مضرب الأمثال فى البذخ . ونظم الاحتفال بقصر الخلافة فى قرطبة وباشراف السيدة صبح البشكنسية التى أغدقت على العروس أروع

الهدايا والتحف ، وحظيت أسماء عند محمد بن أبى عامر ، فلم يفارقها مدى حياته[1] .

قلد الخليفة هشام المؤيد غالب الناصرى منصب الحجابة بالاشتراك مع جعفر المصحفى ، ثم سرعان ما سخط الخليفة على جعفر المصحفى ، فعزله عن الحجابة يوم الاثنين الثالث عشر من شعبان سنة ٣٦٧ هـ (السادس والعشرين من مارس سنة ٩٧٨ م) ، وأمر بالقبض عليه وعلى أولاده وأفراد أسرته ، وعزلهم عما كان بايديهم من أعمال ، والتحفظ على أموالهم ، وتولى محمد بن أبى عامر أمر محاسبتهم واستصفاء أموالهم ، كذلك قتل هشام ابن أخى جعفر المصحفى فى سجنه ، إذ كان أشد آل عثمان عداوة له ، واستمرت النكبة على جعفر المصحفى خمسة سنوات إلى أن توفى بسجن مدينة الزهراء سنة ٣٧٢ هـ (٩٨٢)[2] .

رقى محمد بن أبى عامر إلى منصب الحجابة فى نفس اليوم الذى عُزل فيه جعفر بن عثمان المصحفى ، وأخذ يسيطر على مقاليد الأمور فى الدولة ، وأصبح الخليفة هشام المؤيد كالمحجور عليه بقصر الخلافة وفى ذلك يقول ابن عذارى : « ابن ابن أبى عامر بلغ من ذلك مبلغا لم يبلغه قط متغلب على خليفة ، لأنه احتوى على الملك كله ، وصير الخليفة قبضة فى يده ، حتى أنه لم

(١) راجع فى ذلك :
ابن بسام ، الذخيرة ، ق ٤ ، م ١ ، ص ٦٥ ، ابن الآبار ، الحلة السيراء ، حـ ١ ، ص ٢٥٩ ، ابن عذارى ، البيان المغرب ، حـ ٢ ، ص ٢٦٧ ، المقرى ، نفح الطيب ، حـ ٤ ، ص ٨٨ — ٨٩ ، عنان ، دولة الاسلام ، ق ٢ ، ص ٥٢٩ .
Levi Provençal, Histoire, Vol, II, P. 214 - 215.

(٢) ابن بسام ، الذخيرة ، ق ٤ ، م ١ ، ص ٦٥ — ٧٠ ، ابن خاقان ، مطمح الأنفس ، ص ٤ — ٨ ، ابن سعيد ، المغرب ، حـ ١ ، ص ١٩٦ ، ابن عذارى ، البيان المغرب ، حـ ٢ ، ص ٢٦٧ — ٢٧٢ ، ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ، ق ٢ ، ص ٦٩ — ٧٠ ز ابن خلدون ، العبر ، حـ ٤ ، ق ٢ ، ص ٣١٩ ، المقرى ، نفح الطيب ، حـ ٤ ، ص ٨٨ — ٨٩ ، عنان ، دولة الاسلام ، ق ٢ ، ص ٥٢٩ .
Levi Provençal, Histoire, Vol, II, P. 215 - 216.

يكن ينفذ له أمر فى داره ولا حرمه الا عن أذنه وعلمه ، وجعل متولى قصره من قبله من يثق به ، وصيره عيناً على السلطان لا يخفى عليه شىء من حركاته وأخباره »[1] . ولذا بدأ الصدام بين الحليفين والصهرين القديمين ، فلم يكن غالب الناصرى راضيا عن معاملة ابن أبى عامر للخليفة هشام المؤيد والحجر عليه ، كما كان ابن أبى عامر لا يطيق أن يرى له معارضا ، وأخذ كل منهما يدبر للتخلص من الآخر . ولما كان غالب الناصرى يتفوق على ابن أبى عامر فى أعمال الفروسية وفنون الحرب والقتال ، رأى أن يستعين عليه بفارس من أعظم فرسان عصره ، فلجأ إلى استدعاء جعفر بن على بن حمدون المعروف بالأندلسى من العدوة[2] ، وتواترت كتبه إليه فترك حكم المغرب لأخيه يحيى ، وعبر إلى الأندلس بجيشه ، واستوزره محمد بن أبى عامر : « فعظم شأنه وأحله محل الأخ فى الثقة ، وقدمه على الكفاة ، فوجد عنده ما أحبه وفوق ما قدره »[3] . كذلك عمل ابن أبى عامر على الاستكثار من البربر والاحسان

(١) ابن عذارى ، البيان المغرب ، جـ ٢ ، ص ٢٧٨ — ٢٧٩ .

(٢) دخل جعفر ويحيى ابنا على بن حمدون الأندلس — كما سبق أن ذكرت — عام ٣٦٠ هـ (٩٧١م) وأستقبلهما الخليفة الحكم المستنصر استقبالا طيبا . وفى أواخر عام ٣٦٣ هـ (٩٧٤ م) نكب الخليفة المستنصر جعفر ويحيى وكان الخليفة قد ابتاع منهما عبيدهما الذين استعفوا من خدمتهما ودفع الثمن إليهما ، وتم فصل العبيد عنهما وضمهم إلى الخليفة وجنده . وكان لذلك فيما يبدو أثر سىء فى نفسيهما ، فقيل أنهما تكلما فى حق الخليفة بما لا يحمد وجاهرا بامتداح الفاطميين ساداتهم الأوائل ، ونمى ذلك إلى الخليفة المستنصر ، فأمر فى الحال بالقبض عليهما ، وزجا مكبولين إلى سجن مدينة الزهراء ، ولبثا فى سجنهما بضعة أشهر ، حتى عاد الخليفة فعفا عنهما وأمر باطلاق سراحهما فى شهر رجب ٣٦٤ هـ (٩٧٥ م) فعاد جعفر ويحيى إلى المغرب حيث عقد الحاجب جعفر المصحفى لهما على المغرب باسم الخليفة المستنصر وخلع عليهما خلعا فاخرة وضم إليهما بعض رجالهما ، فلما حدث الخلاف بين ابن أبى عامر وغالب ، سارع ابن أبى عامر إلى استدعاء جعفر بن على بن حمدون .
راجع : ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق الحجى ، ص ٤٤ — ٥٦ ، ابن الآبار ، الحلة السيراء ، حـ ١ ، ص ٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ابن عذارى ، البيان المغرب ، حـ ٢ ص ٢٤٢ — ٢٤٣ ، مجهول ، مفاخر البربر ، ص ٨ ، ١٤ .

(٣) ابن عذارى ، البيان المغرب ، حـ ٢ ، ص ٢٧٨ — ٢٧٩ .

إليهم والتوسعة عليهم « فأنثالوا على ابن أبى عامر ، ومازالوا يتلاحقون وفرسانهم يتواترون ، يجىء الرجل منهم بلباس الخلق على الاعجف فيبدل به بلباس الخز الطرازى وغيره ، ويركب الجواد العتيق ، ويسكن قصرا ، لم يتصور له فى منامه مثله ، حتى صاروا أكثر أجناد الأندلس[١] .

وبات واضحاً أن الحرب ستنشب لا محالة بين غالب الناصرى ومحمد ابن أبى عامر ، وقد عزم غالب على التخلص من ابن أبى عامر ، ولم يكن فى الامكان تحقيق ذلك الا بطريق المصانعة ، فدعاه أثناء غزوه بالصائفة فى أراضى قشتالة ، كان قد خرج إليها من قرطبة يوم الجمعة الثالث عشر من رمضان ٦٣٩ هـ (الثانى من أبريل سنة ٩٨٠م) إلى وليمة أقامها له بمدينة أنتيسة من الثغر ، فلما صعد ابن أبى عامر فى قله من أصحابه إلى القلعة انفرد به غالب ، وأخذ فى عتابه ، ثم كر عليه بسيفه ، فأصابه بجراح أبانت بعض أنامله وأثرت أثرا كبيرا فى صدغه ، إلا أن ابن أبى عامر تمكن من الفرار بفرسه من أعلى القلعة ، وامتنع غالب بها ، بينما سار ابن أبى عامر إلى مدينة سالم حيث دار غالب وأولاده ، وكانت أخبار الصدام بينهما قد وصلت إليها ، فقام كاتب غالب بتسليمها إليه ، فاستولى عليها وعلى جميع ما كان لغالب بها من أموال وذخائر ، وفرقها على جيشه ، ثم عاد إلى قرطبه فوصلها يوم التاسع من ذى القعدة سنة ٣٦٩ هـ (السابع والعشرين من مايو ٩٨٠ م)[٢] .

وقد أورد صاحب الحلة السيراء نصا على جانب كبير من الأهمية ، إذ أشار إلى أن الخليفة هشام المؤيد ، منح عبد الله بن عبد العزيز بن محمد ابن عبدالعزيز بن أمية بن الحكم الربضى لقب الامارة ، وفوض إليه أمر طليطلة ، وقلده اياها مع الوزارة ، وسد به الثغر : « فاستقل بمقاومة غالب أيام فتنته ، حتى دعاه إلى القيام بالخلافة »[٣] . وهذا النص يشير إلى نقطتين هامتين

(١) ابن عذارى ، المصدر السابق ، ص ٢٧٩ .

(٢) العذرى ، ترصيع الأخبار ، ص ٧٦ ، ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ، ق ٢ ، ص ٧١ ، عنان ، دولة الاسلام ، ق ٢ ، ص ٥٣٨ .

(٣) ابن الآبار ، الحلة السيراء ، حـ ١ ، ص ٢١٥ — ٢١٦ .

أولهما : أن الخليفة هشام المؤيد — بتحريض فيما يبدو من محمد ابن أبى عامر — قد أصدر مرسوما بعزل غالب الناصرى عن الثغر الأوسط وولاه لأحد أفراد الأسرة الأموية وجعل مركزه طليطلة وعهد إليه بقتال غالب الناصرى . وثانيهما أن غالبا — وقد يئس من موقف هشام المؤيد — قد خلع طاعته ، ودعا هذا الأمير الأموى إلى الخلافة .

حشد غالب الناصرى حشوده لقتال محمد بن أبى عامر ، كما استعان براميرو الثالث ملك ليون ، فأمده ببعض قواته . وفى نفس الوقت سار ابن أبى عامر ونزل بحصن شنت بجنت SAN vicente بالقرب من انتيسه يوم الخميس الثانى من المحرم سنة ٣٧١ هـ (الثامن من يوليو سنة ٩٨١ م) ، فبرز له غالب ، وكان ابن أبى عامر قد عبأ عسكره أحسن تعبئة ، فصار فى القلب مع جند الحضرة ، وجعفر بن على بن حمدون مع البربر فى الميمنة ، وأبا الاحوص معن ابن عبدالعزيز التجيبى ، وحسن بن أحمد بن عبد الودود فى معظم أهل الثغور فى الميسرة ، وقد استمرت المناوشات بين الجيشين طوال يومى الخميس والجمعة ، إلى أن وقع القتال صباح يوم السبت الرابع من المحرم سنة ٣٧١ هـ ، (العاشر من يوليو سنة ٩٨١ م) ، وتقدم غالب ، وكان قد قارب الثمانين من عمره ، فحمل على ميمنة جيش ابن أبى عامر فدمرها تماما ، ثم تحول إلى الميسرة ، والحق بها ما الحقه بالميمنة ، ولم يتبق سوى القلب وبه ابن أبى عامر ، وقد أيقن بالهلاك وعقد غالب اجتماعا لقواده وقال لهم : « كيف ترون عاقبه الصبر ؟ قد كسرنا جناحى القوم ، وبقى القلب ، وانما ثبت من فيه حياء من هذا الأحدب الملعون — يعنى ابن أبى عامر — وليسوا ذوى حفاظ فما أخلقهم باسلامه ، فأصدقوا الحملة ، عسى الله أن يمكن منهم بقدرته ، ثم رفع يديه وقال : « اللهم ان كنت تعلم ان بقاءى أصلح للمسلمين وأعود عليهم من بقاء محمد بن أبى عامر فاهلكه وأنصرنى عليه ، وان كان هو أولى بذلك منى فانصره على وأرحنى »[١] . وما كاد يتم حديثه ، حتى ترك

(١) ابن حزم ، نقط العروس ، ص ٨١ — ٨٢ ، ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ، ق ٢ ، ص ٧٣ .

ميدان القتال واتجه إلى خندق إلى جانب معسكره ، فظن أصحابه أنه يريد أن يأخذ قسطا من الراحة ، فلم يتبعه أحد فلما أبطأ عليهم ركبت طائفة منهم نحوه ، فوجدوه قد سقط على الأرض ميتا ، وقد فارق الحياة بلا ضربة ولا طعنة ولا رمية ، وفرسه واقف يعلك لجامه ، ولا يعلم أحد بسبب موته ، غير أن البعض قال أن قربوس سرجه ضربه ، فأصاب قلبه فمات فى الحال . وأسرع أحد أصحاب غالب إلى محمد بن أبى عامر يبشره بمقتل غالب ، فلم يصدقه حتى جيء له بيده وفيها خاتمه ، ثم جيء برأسه ، فخر ابن أبى عامر ساجدا ، وكبر المسلمون تكبيرا خلع قلوب النصارى الذين كانوا فى عسكر غالب ، وولوا وجوههم مدبرين ، فطاردتهم قوات ابن أبى عامر ، وقتلوا منهم عددا كبيرا ، وكان من بين القتلى رذمير بن شانجة وتسمية المصادر العربية « رى قرجة » ، وقام ابن أبى عامر بسلخ جلد غالب ، وحُشى قطنا وصلب على باب قصر الخلافة بقرطبه ، بينما صلب رأسه على باب مدينة الزاهرة ، وظلت رأسه على تلك الحال إلى أن أنزلت يوم هدم الزاهرة فى سنة ٣٩٩ هـ (١٠٠٨ م) [١] .

بمقتل غالب بن عبد الرحمن الناصرى فقدت دولة الاسلام فى الأندلس ، قائدا من أعظم قوادها سواء فى مجال الجهاد البرى أو البحرى ، لعب دورا هاما فى أحداث التاريخ الإسلامى سواء فى الأندلس أو فى المغرب فى فترة من أزهى فترات الوجود الاسلامى فى الأندلس ، قبل أن يصيب هذا الوجود الضعف والاضمحلال الذى أدى إلى سقوط الخلافة الأموية فى قرطبة عام ٤٢٢ هـ (١٠٣١ م) ، كما أن مقتل غالب قد فتح باب المجد أمام محمد بن أبى عامر ، إذ سيطر على مقاليد الأمور وأصبح أعظم شخصيات العصر فى الأندلس .

(١) عن مقتل غالب الناصرى راجع : ابن حزم ، نقط العروس ، ص ٨٢ ، ابن عذارى ، البيان المغرب ، حـ ٢ ، ص ٢٧٩ ، ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ، ق ٢ ، ص ٧٣ — ٧٤ ، ابن خلدون ، العبر ، حـ ٤ ، ص ٣١٩ ، المقرى ، نفح الطيب ، حـ ٤ ، ص ٩١ ، عنان ، دولة الاسلام ، ق ٢ ، ص ٥٣٩ — ٥٤٠ .

Dozy, Histoire, Vol, II, P. 242 - 243; Levi provençal, Histoire, Vol, II, P. 226 - 228.

أولا — المصادر العربية

ابن الآبار (أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعى)
ت ٦٥٨ هـ (١٢٦٠ م)
الحلة السيراء
تحقيق الدكتور حسين مؤنس ، فى جزئين الطبعة الأولى ، القاهرة ، ١٩٦٣ م .

ابن أبى زرع (أبو الحسن على بن عبد الله الفاسى)
ت ٧٢٦ هـ (١٣٢٥ م)
الأنيس المطرب بروض القرطاس فى أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ،
المطبعة الفاسية ، ١٣٠٥ هـ .

ابن الأثير (أبو الحسن على بن أحمد بن أبى الكرم)
ت ٦٣٠ هـ (١٢٣٣ م)
الكامل فى التاريخ
طبعة بيروت ، اثنا عشر جزءا ، ٦٥ — ١٩٦٧ م .

الأدريسى (الشريف أبو عبد الله محمد بن عبد العزيز)
ت حوالى ٥٤٨ هـ (١١٥٥ م)
صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس
مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق فى اختراق الافاق
تحقيق دى غوية ودوزى ، ليدن ١٨٦٤ م .

ابن بسام (أبو الحسن على الشنترينى)
ت ٥٤٣ هـ (١١٤٧ م)

الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة
تحقيق الدكتور احسان عباس ، بيروت ، ١٩٧٩ م .

ابن حزم (أبو محمد على بن أحمد بن سعيد)
ت ٤٥٦ هـ (١٠٦٤ م)

— جمهرة انساب العرب
تحقيق وتعليق عبد السلام محمد هارون
نشر دار المعارف بمصر ، الطبعة الخامسة ، ١٩٨٢ م .

— نقط العروس فى تواريخ الخلفاء ، تحقيق د . شوقى ضيف ، نشر بمجلة كلية الآداب جامعة القاهرة ، المجلد الثالث عشر ، الجزء الثانى ، ديسمبر ١٩٥١ م .

الحميرى (أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم الصنهاجى)
توفى بعد سنة ٨٦٦ هـ (١٤٦١ م)
صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار فى خبر الأقطار .
نشر وتحقيق ليفى بروفنسال ، القاهرة ، ١٩٣٧ م .

ابن حيان (أبو مروان حيان بن خلف بن حيان القرطبى)
ت ٤٦٩ هـ (١٠٧٩ م)

— المقتبس فى تاريخ رجال الأندلس ، اعتنى بنشره الاب ملشور أنطونية ، باريس ، ١٩٣٧ م .

— المقتبس فى أخبار بلد الأندلس
نشره وحققه الدكتور عبد الرحمن الحجى ، بيروت ، دار الثقافة ، ١٩٦٥ م

— المقتبس من أنباء أهل الأندلس ، حققه وقدم له وعلق عليه الدكتور محمود على مكى ، دار الكتاب العربى ، بيروت ، ١٩٧٣ م .

— المقتبس ، أعتنى بنشره الدكتور بدور شالميتا ، والدكتور كورنيطى والدكتور محمود صبح ، نشر المعهد الأسبانى العربى للثقافة بالاشتراك مع كلية الآداب بالرباط ، مدريد ، ١٩٧٩ م .

ابن خاقان (أبو النصر الفتح بن محمد)
ت ٥٣٥ هـ (١١٣٤ م) .
مطمح الأنفس ومسرح التأنس فى ملح أهل الأندلس ، طبعة قسنطينة ، ١٣٠٢ هـ .

ابن الخطيب (لسان الدين أبو عبد الله محمد) :
ت ٧٧٦ هـ (١٣٧٤ م)

— أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام ، الجزء الخاص بالأندلس ، تحقيق ليفى بروفنسال ، الرباط ، ١٩٣٤ م

— أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام ، الجزء الخاص بالمغرب ، تحقيق الدكتور أحمد مختار العبادى والأستاذ محمد ابراهيم الكتانى ، الدار البيضاء ، المغرب ، ١٩٦٤ م .

— الاحاطة فى أخبار غرناطة
نشر وتحقيق الأستاذ محمد عبد الله عنان ، أربعة مجلدات ، القاهرة ، ١٩٧٣ — ١٩٧٩ م .

ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد)
ت ٨٠٨ هـ (١٤٠٥ م)
كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصروهم من ذوى السلطان الأكبر ، بيروت ، ١٩٦٥ م .

ابن سعيد المغربى (أبو الحسن على بن موسى)
ت ٦٨٥ هـ (١٢٨٦ م)
المغرب فى حلى المغرب
تحقيق الدكتور شوقى ضيف ، فى جزئين ، دار المعارف ــ
القاهرة ، ١٩٥٣ ــ ١٩٥٥ م .

السلاوى (أبو العباس أحمد بن خالد)
ت ١٣١٥ هـ (١٨٩٧ م)
ــ الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى تحقيق جعفر الناصرى
ومحمد الناصرى ، دار الكتاب ، الدار البيضاء ، ١٩٥٤ م

ابن عذارى (أبو عبد الله محمد المراكشى)
ت بعد عام ٧١٢ هـ (١٢١٢ م)
البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب
نشر كولان وليفى بروفنسال ، دار الثقافة ،
بيروت ، بدون تاريخ

العذرى (أبو العباس أحمد بن عمر بن أنس المعروف بابن الدلائى)
ت ٤٧٨ هـ (١٠٨٨ م)
ــ نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الاثار
والبستان فى غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك ،
تحقيق الدكتور عبد العزيز الأهوانى ، مطبعة معهد الدراسات
الاسلامية ، مدريد ، ١٩٦٥ م .

أبو الفدا (الملك المؤيد عماد الدين اسماعيل)
المختصر فى أخبار البشر ، جزءان ، ط ١ ، المطبعة الحسينية
المصرية ، القاهرة ، (بدون تاريخ) .

المقريزى (تقى الدين أحمد بن على بن عبد القادر بن محمد)
ت ٨٤٥ هـ (١٤٤١ م)
أتعاظ الحنفا بأخبار الائمة الفاطميين الخلفا ، الجزء الأول تحقيق
د . جمال الدين الشيال ، القاهرة ، ١٩٤٨ م .

المقرى (أحمد بن محمد التلمسانى)
ت ١٠٤١ هـ (١٦٣١ م)
نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين
بن الخطيب . حققه وضبط غرائبه وعلق على حواشيه محمد محيى
الدين عبد الحميد فى عشرة أجزاء ، القاهرة ، ١٩٤٩ م .

مؤلف مجهول :
أخبار مجموعة فى فتح الأندلس وذكر امرائها رحمهم الله والحروب
الواقعة بها بينهم ، نشره دون لافونتى ، القنطرة فى مجموعة Obras
Arabigas ، مدريد ، ١٨٦٧ م .

مؤلف مجهول :
نبذ تاريخية فى أخبار البربر فى القرون الوسطى منتخبة من المجموع
المسمى بكتاب مفاخر البربر ، أعتنى بنشرها وتصحيحها ، ليفى
بروفنسال ، الرباط ، ١٩٣٤ م .

مؤلف مجهول :
الاستبصار فى عجائب الأمصار ، وصف مكة والمدينة ومصر
وبلاد المغرب والسودان مؤلف فى القرن السادس الهجرى ، تحقيق
د . سعد زغلول عبد الحميد ، مطبوعات جامعة الاسكندرية
١٩٥٨ م .

مؤلف مجهول :
ذكر بلاد الأندلس
نشر وتحقيق لويس مولينا ، مدريد ١٩٨٣ م .

النويرى (أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم البكرى التميمى القرشى)
ت ٧٣٢ هـ (١٣٣٢ م)
نهاية الأرب فى فنون الأدب ، الجزء الثانى والعشرين ، نشر جاسبار راميرو ، غرناطة ، ١٩١٦ — ١٩١٧ م .

ياقوت (شهاب الدين أبو عبد الله الحموى ، الرومى ، البغدادى)
معجم البلدان ، خمسة أجزاء ، نشر دار صادر ودار بيروت ، ١٣٧٤ — ١٣٧٦ هـ/١٩٥٥ — ١٩٥٧ م .

ثانيا : المراجع العربية

سالم (د . السيد عبد العزيز) :
— تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس
(من الفتح العربى حتى سقوط الخلافة بقرطبة) ،
طبعة بيروت ، ١٩٦٢ م .

— المغرب الكبير ، الجزء الثانى (العصر الاسلامى)
طبعة الاسكندرية ، ١٩٦٦ م

— تاريخ البحرية الاسلامية فى المغرب والأندلس بالاشتراك مع د . أحمد مختار العبادى ، طبعة بيروت ، ١٩٧٢ م .

— قرطبة حاضرة الخلافة فى الأندلس
(دراسة تاريخية — عمرانية — أثرية فى العصر الاسلامى)
الجزء الأول ، بيروت ، ١٩٧١ م .

الجزء الثانى ، بيروت ، ١٩٧٢ م .

— تاريخ مدينة المرية الاسلامية .
طبعة الاسكندرية ، ١٩٨٤ م .

العبادى (د . أحمد مختار) :
فى تاريخ المغرب والأندلس ، طبعة الاسكندرية ، ١٩٧٤ م .

عنان (الأستاذ محمد عبد الله) :
— دولة الاسلام فى الأندلس ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ، ١٩٦٠ م .

مكـى (د . محمود على)
— أسرة بنى الطبنى القرطبيين ومصرع أبى مروان الطبنى
مجلة كلية الآداب والتربية — جامعة الكويت ، العدد الثامن ، ديسمبر ١٩٧٥ م .

— مدريد العربية
نشر المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر ، القاهرة (بدون تاريخ) .

مورنيو (جومث) :
الفن الاسلامى فى أسبانيا .
ترجمة د . لطفى عبد البديع ود . السيد عبد العزيز سالم ، طبعة القاهرة ، ١٩٥٨ م .

مؤنس (د . حسين) :
— فجر الأندلس .
(دراسة فى تاريخ الأندلس من الفتح الاسلامى إلى قيام الدولة الأموية ٧١١ — ٧٥٦ م) .

— غارات النورمانديين على الأندلس بين سنتى ٢٢٩ هـ ، ٢٤٥ هـ

المجلة التاريخية المصرية ، العدد الأول ، المجلد الثانى ، مايو ١٩٤٩ م .

— معالم تاريخ المغرب والأندلس .

الاسكندرية ، ١٩٨٣ م .

ثالثا : المراجع الأروبية الحديثة

- Aguado Bleye

Manuel de la Historia de Espana; T.L.

Madrid, 1947.

- Dozy (R.) :

Histoire des Musulmans d'Espagne, edition,

Leiden, 1932.

- Garcia Gomez (Emilio)

Al. Hakam 11 y Los Berberes,

Al. Andalus, Vol. XIII, 1948.

- Levi provençal.

- L'Espagne Musulmane au xe siecle, paris, 1932.

- La politica Africana de ABD al-Rahman III,

Al-Andalus, Vol, XI, Fasc, 2, 1946.

- Histoire de L'Espagne Musulmane, 3 Vols, Leiden, 1950.